٥٢٩
Nahas
دار م. النحاس

529
HARLEQUIN

عبير

معزوفة الحب

فاليري بارف

www.rewity.com
gege86

معزوفة الحب

فاليري بارف

حضرة السيد براند المحترم،

تحياتي. إسمي سوزان كيمبر وأنا من أشد المعجبات بك. إنني واثقة من أنك تتلقى آلاف الرسائل، ولكن هذه الرسالة مختلفة، لذلك، ارجوك، ارجوك أن تتابع القراءة.

أما السبب الذي جعل بيني تتمنى لو لم تكتب ابنة اختها تلك الرسالة المحتوية على كل ذلك التضرع، فلأن سوء الحظ وقسوته جعلها وسيلة لعودة ريد براندن إلى حياتها... ذلك أن خسارتها لحبه وثقته، منذ سنوات، قد حطمت قلبها المرهف، إنما ذكريات حبه الحلوة ما زالت حية في خيالها. ولكن هل من الممكن أن تبقيها المجابهة الثانية بينهما، على صمودها بعد دروس الماضي وذلك رغم ما في شخصيته من قوة جاذبية.

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل – سوريا: ٦٠ ل.س – الكويت: ٧٥ فلس – البحرين: ١دينار – قطر: ١٠ دراهم – السعودية: ١٠ ريالات – الامارات: ١٠ دراهم – الاردن: ١دينار – مصر: ٤جنيه.

«وما الذي سنفعله الآن؟»

فأجاب: «يقال إن الهجوم هو أفضل وسائل الدفاع. وأنا أنوي أن أبدأ بالهجوم حالاً.»

فسألته: «ماذا يدور في ذهنك؟»

أجاب: «إعلان خطوبتنا.»

فشعرت بيني وكأنها تلقت لطمة. وهتفت: «ماذا؟ لا بد أنك جننت. إنني لن أتزوج منك. إنني لن أخطب لك. إنني اكرهك.»

www.rewity.com gege86

فاليري بارف

كانت فاليري بارف صحفية ناجحة وكاتبة قصص واقعية غير خرافية، وقد انتقلت إلى العمل ككاتبة في دار نشر ميلز وبون عام ١٩٨٢. ولدت فاليري في شروبشاير في المملكة المتحدة وترعرعت في استراليا، وهي تعيش حالياً مع زوجها - رسام الصور المتحركة - وقطهما المدلل في سيدني جنوب ويلز.

ان فاليري مغرمة بالأفكار المستقبلية الخيالية ومتعلقة بأفلام ومسلسلات حرب النجوم. كما انها تجد متعتها في الأسفار وترميم بيوت الدمى ولقاء الأصدقاء، وتعتبر كتابة القصص الرومانسية تأكيداً لثقتها بالحب والنهايات السعيدة.

٥٢٩
قلوب عبير
khouloub Abir 529

معزوفة الحب

فاليري بارف

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.rewity.com
gege86

الفصل الأول

حضرة السيد براندن المحترم،

تحياتي. اسمي سوزان كيمبر، وأنا من أشد المعجبات بك. إنني واثقة من أنك تتلقى آلاف الرسائل، ولكن هذه الرسالة مختلفة، لذلك أرجوك، أرجوك أن تتابع القراءة.

إنني في الرابعة عشرة من عمري، وأتعلم موسيقى الكلارينيت. ولدى مدرستي منهاج المرشدين حيث يدعو التلامذة موسيقيين عالميين لنصحهم وارشادهم في هذه المهنة. وهكذا صممت على أن أطلب من أعظم نافخ كلارينيت في العالم، أن يكون مرشدي.

وقد ابتدأت بدراسة النفخ في هذه الآلة الموسيقية منذ كنت في المدرسة الابتدائية. وأنا لا أطمح إلى أن يكون لي مثل نبوغك في العزف المنفرد الذي سجلته عندما كنت في الرابعة عشرة، ولكنني أرغب في اتباع خطواتك في اتخاذ العزف والتسجيل مهنة لي، لكي أتمكن في النهاية من أن أكون مخرجة موسيقية مثلك، وربما أصبح لديّ يوماً ما، شركة خاصة بي للتسجيلات الموسيقية.

لن أتطفل عليك أكثر من ذلك، فإن وقتك ثمين. إن المرشد غالباً ما يردّ على الأسئلة بريدياً، كما يدلي برأيه في الشريط الذي يحوي عزف التلميذ، فهل لك أن تقوم بهذا لأجلي من فضلك؟

المخلصة: سوزان (سوزي) كيمبر.

www.rewity.com
gege86

حاشية: «انني أخص بالذكر عشقي البالغ لمعزوفتك الموسيقية (أندريتي).»

حدّق ريد براندن في الورقة المطبوعة على الآلة الكاتبة التي في يده. واستقرت نظراته الفولاذية على السطر الأخير، والذي خطته يد التلميذة دون عناية، وهو يشعر بصدمة تخترق منه الأعماق. كيف استطاعت فتاة صغيرة لم يعرفها من قبل قط، أن تستمع إلى معزوفته «أندريتي» هذه؟

قالت له مساعدته: «ماذا هناك؟ هل ثمة حماقة أخرى في هذه الرسالة؟ كنت أظن أنني أبعدتها كلياً.»

رمق مساعدته تونيا ريغ، بابتسامة باهتة وهو يقول: «إنها ليست حماقة، فأنت تحسنين حجب تلك الأشياء عني تماماً، وأنت تعلمين ذلك، وانما هو التماس من تلميذة مدرسة بأن أكون المرشد لها. اوه! متى سيتوقفون عن اعتباري نجماً شعبياً؟»

أجابت: «عندما لا تعود تبدو كذلك.»

فرفع يده بضيق ليدفع إلى الخلف خصلات شعره البنية والتي كانت تساهم دون وعي منه، في إضفاء الوسامة إلى شكله، وهو يقول: «وما الذي يجعلني أبدو نجماً شعبياً؟ وما هي الجاذبية في مدير منفذ للإخراج الموسيقي ناهز الثلاثين من عمره؟» ومدّ يده إلى بطنه وهو يقول: «يا للهول، حتى لكأن كرشاً قد ابتدأ عندي في البروز.»

فقالت: «إذ عدا عن مظهرك الذي يبديك كنجم سينمائي، فتسجيلاتك الموسيقية تساعد في ذلك.»

فقال: «إذن، أظن الوقت قد حان لكي أتخلى عن التسجيل الموسيقي، وأتفرغ لإدارة الأعمال.»

فقالت: «إذا أنت تفرغت لإدارة الأعمال فإن علينا أن ننتقل إلى حيث لا ندفع ضرائب باهظة.»

فقال: «بمناسبة الانتقال، كيف وجدت التغيير من لوس انجلوس إلى نورث سيدني؟»

فأجابت: «إنني أفتقد الإثارة والتقدم العصري في لوس انجلوس، ولكن استراليا لها سحرها وخاصة ذلك البيت الرائع ذو السقف القرميدي الذي جهزته لي. كيف يسير البحث عن منزل مناسب لك؟»

فأجاب: «ببطء. كاد ان يصيبني الغثيان من ذلك المسكن في الطابق العلوي. وأنا لا أنفك عن البحث عن منزل.»

فرفعت حاجبيها كخط القلم وهي تسأله: «إذن، فالانتقال إلى هنا سيكون بصورة دائمة؟»

فأجاب: «سبق وأخبرتك بذلك. حيث أن العمل في أميركا يسير بيسر، وعليّ أن أركز اهتمامي هنا الآن.»

فقالت: «أعلم ذلك، فأنت وفيّ لمبادئك دوماً.»

ومدت يدها تتناول منه الرسالة التي كانت ما تزال في يده، قائلة: «هل أنهي أمر هذه؟ فأرسل الجواب الرسمي المعتاد مصحوباً بصورتك وإمضائك كالعادة؟»

فأجاب بحدة ودون وعي: «كلا.» وما لبث أن اغتصب ابتسامة وهو يتابع: «سأهتم بأمر هذه الرسالة بنفسي.» وأضاف لنفسه قائلاً، إلى أن أعلم أين سمعت تلك التلميذة معزوفة «أندريتي» هذه.

وانطفأت حماسة تونيا، فقالت تشير إلى الرسائل التي تفيض بها السلة: «هل لك أن تهتم بهذه أيضاً؟ إن ثمة عرضين للزواج بينها قد يعجبانك.»

فهز رأسه قائلاً وقد رقت نظراته: «كلا، شكراً. إنك تقومين بمهام صعبة وأنا لا أريد أن أتدخل في عملك، ولكن هذه الرسالة أثارت اهتمامي، فأنا أريد أن أنظر بشأنها قبل أن أقرّر ماذا أفعل.»

كان يريد، على الأقل، أن يعرف ما يجري.

ابتسمت بلطف وكأنها تعترف بحقه في أن يقوم بأي عمل جنوني لو شاء، ثم قالت: «إنك الرئيس. وحالما تقرّر إملاء الجواب، سآتي لأخذه.»

فقال: «هل سبق وأخبرتك مبلغ أهميتك عندي؟».

فأجابت: «ليس بما فيه الكفاية.»

فقال: «إذن فاعتبري أنني قلت لك ذلك. إنني أشعر بالرعب من ذلك اليوم الذي ستأتين فيه إليّ قائلة إنك ستتركين العمل لكي تتزوجي.»

فنظرت إليه بجفاء أدهشه، ثم قالت: «يا لك من رجل قديم الطراز أحياناً. فالمرأة لم تعد تترك عملها، بعد الآن، إذا أرادت الزواج. هذا طبعاً إذا كنت أفكر في الزواج.»

فسألها: «ألا تفكرين في ذلك؟»

بدت الكآبة على ملامحها وهي تردّ قائلة: «آه، نعم إنني أفكر في ذلك. ولكنك تعرف المثل الذي يقول اليد الواحدة لا تصفق.»

فقال: «نعم. أعرفه.»

كان ما تعنيه صريحاً للغاية، فقد سبق لها أن صارحته ذات ليلة، اثناء احتسائهما شيئاً من الشراب في مناسبة غير عادية. وقد حاول فعلاً أن يتجاوب معها في شعورها نحوه، ولكن أحاسيسه لم تطاوعه. فهو يعلم أن الذنب ذنبه

في عدم حدوث أيّ صلة عاطفية معها، وزاد لديه هذا الشعور الآن بعد هذه الرسالة التي تلقاها. وقال لها: «لماذا لا تأخذين فرصة ترتاحين فيها بعد الظهر؟ لا بد أن لديك عملاً كثيراً في منزلك؟»

فحملت سلة الرسائل وهي تجيبه قائلة: «قد أفعل ذلك.» ولكنه كان يعلم أنها لن تفعل. فقد كانت تونيا مكرّسة نفسها له وكأنها زوجته، ولكنه رغم كل محاولاته، لم يستطع أن يتصورها زوجة له. وهذا ما جعله يشعر بالخجل من نفسه.

وما أن أغلقت الباب خلفها، حتى عاد ينظر في الرسالة التي ما زال يقبض عليها بعصبية. وعندما حاول أن يرخي أصابعه، سقطت الرسالة من بينها لتستقر على المكتب، موجهة إليه اتهاماً صامتاً.

إتهام بماذا؟

نعم، إنه اتهام بيني سوليفان. فهي ومعزوفة «أندريتي» لا تنفصلان في ذهنه.

إنه يتمنى لو كان بإمكانه أن يقول إنه لم يفكر فيها أثناء تلك السنوات الخمس، ولكن هذا غير صحيح، لأنه فكر فيها فعلاً، وكثيراً. فقد سيطر عليه نعومتها وجمالها الطبيعيان البعيدان عن التصنع، رغم أنه لم يرها أثناء السنوات الأخيرة تلك.

هل تراها ما زالت تصفف شعرها خصلات متموجة حول وجهها! لقد كان لون شعرها غير عاديّ... كان برونزياً فاتحاً، كما كان يصفه. وكانت هي ترى أن جسدها غير جميل تماماً لعدم وجود تناسق فيه...

وعيناها؟ لقد كانتا واسعتين دافئتين متألقتين وبلون الكهرمان. أو هكذا كانتا قبل أن يفترقا.

www.rewity.com
qege86

لقد حدث ذلك بعد أيام قليلة من رجوعهم إلى سيدني من كانبيرا حيث كان يقيم حفلة موسيقية خيرية ناجحة. ناجحة بقدر ما كان اهتمام الناس بالأعمال الخيرية على الأقل، أما بالنسبة إلى بيني فقد كانت هناك قصة أخرى. كان قد قال لها بجفاء: «إن كل إنسان يخطىء أحياناً، فلماذا لا تعترفين بالخطأ؟»

فرفعت يديها وكأنها تدافع عن نفسها، ثم قالت: «هذه هي المشكلة. إنك تعتقد أنني اقترفت خطأ، أليس كذلك؟»

فأجاب: «إنك لا تستطيعين إنكار أنك كنت وراء عجلة القيادة عندما اصطدمت سيارتي بذلك الجدار. إنك أنت التي أردت أن تعودي إلى منزلك مبكرة، فأعطيتك مفاتيح سيارتي بشرط أن تعطيها لأحد السائقين الموجودين واللذين كانا غاية في الكفاءة، ولكنك لم تظنيهما كذلك، رغم أنك كنت متعبة.»

فقالت بصوت منهك: «لأنها كانت حفلة صاخبة وطويلة أقيمت احتفالاً بالفرقة الموسيقية، وكان من الطبيعي بعدها أن أشعر بالتعب.» كانت تتكلم بلهجة من اضطر إلى أن يكرر هذا الكلام مرات ومرات، وتابعت قائلة: «إنني أتذكر أنك أعطيتني المفاتيح، ولكنني لا أتذكر أنني صعدت إلى السيارة. إن ذاكرتي هي صفحة بيضاء منذ اللحظة التي أخبرتني فيها بأنك ستلحق بنا إلى الفندق، إلى اللحظة التي رأيتك فيها تنحني عليّ أثناء حدوث الاصطدام.»

فقال: «لقد كنت محظوظة، إذ صممت أنا على اللحاق بكما مباشرة تقريباً. فلو كان أصيب أي منكما، وجاءت الشرطة...»

فقاطعته قائلة: «أعلم ذلك، إنني عند ذاك كنت سأحاكم بتهمة قيادة السيارة بسرعة. وهكذا عليّ أن أشكرك لإنقاذك لي.» ولم تستطع إلا أن تفكر في سمعته هو أيضاً.

حتى بينما عاين طبيب ريد الخاص الفتاتين بيني وتونيا، كانت هذه الأخيرة لا تفتأ تكرر القول عن أهمية حفظ خبر الاصطدام سراً عن العامة حتى لا تصاب سمعة ريد بسوء، وبهذا كانت تونيا تذكر بيني باستمرار بأنهما شريكتان له أمام الناس.

وهكذا لم يتسرّب شيء من خبر الاصطدام هذا، إلى الخارج، أما الصدمة التي أصابت رأس بيني والتي جعلتها غير قادرة على تذكر أغلب ما مرّ عليها منذ تركت الحفلة، إلى أن استيقظت بعد الحادث، تلك الصدمة لم ينتج عنها غير ارتجاج بسيط في المخ. وكانت هذه بمثابة أعجوبة لأن السيارة نفسها كانت قد تهشمت. ولكن ريد ما كان ليهتم بالسيارة، فهذه كان من الممكن تعويضها، بعكس بيني وتونيا. ولكنه أبدى من الانزعاج ونفاد الصبر لما فعلت بيني ما جعلها تقول له: «لم أعد أستطيع تحمّل ظنك بأن من الممكن أن أقوم بشيء كهذا، خصوصاً معرفة شعورك نحو أولئك الذين يقودون سياراتهم بتهور.»

فقال: «أتعجبين لهذا، وقد تسبب واحد منهم في مقتل والديّ؟»

فقالت: «إن لهجتك، ونظرتك وأنت تتذكر كيف حرمت منهما وأنت في الخامسة عشرة... إن هذا يجعل الرعب يتملكني، إذ أفكر في أن يوماً سيأتي ستنظر فيه إليّ بهذا الشكل.»

www.rewity.com
qeqe86

فقال: «أنا وأنت لا علاقة لنا بذلك.» وابتدأت تقاطيع وجهها الرقيقة تنبسط، ولكنها حين اقترب منها مواسياً، أجفلت منه وهي تقول: «كلا، أرجوك. إنني لا أريد... لا أريد صفحك.» ونطقت بتلك الكلمة وكأنها إهانة كبرى، ثم تابعت قائلة: «أريد منك أن تبرئني باعتبار الأدلة غير كافية.»

وهنا فرغ صبره، فقال لها بحدة: «وكيف تكون الأدلة غير كافية بينما كنت فعلاً خلف عجلة القيادة؟»

واغرورقت عيناها بالدموع ولكنها بقيت رافعة الرأس وهي تقول: «هذا يعني أنني كنت أنا التي أقود السيارة، أليس كذلك؟ لا يوجد تفسير غير هذا.»

فقال: «نعم، لا يوجد تفسير آخر معقول.»

لقد أرجع المسؤولية في ذلك إلى الصدمة التي أصابتها. وماذا كان بإمكانه أن يفعل غير هذا؟ ألم يسحبها بيديه من خلف عجلة القيادة؟ إن دمه يكاد يتجمد كلما فكر في أن جسدها كان من الممكن أن يكون جثة هامدة في ذلك الحين، وذلك لأجل خطأ لم تشأ هي الاعتراف باقترافه، وكان يمكن أن يخسرهما، تلك الليلة، هما الاثنتين، بيني وتونيا.

ولكنه، في النهاية، خسر بيني على كل حال. ذلك أنها بعد الحادث مباشرة، تركت وظيفتها في وكالة الإعلام حيث كانا قد تعارفا، ثم ذهبت إلى انكلترا للعمل هناك. ومع أنه كان واضحاً أنها كانت تريد إخفاء نفسها، إلا أنه كان بإمكانه بواسطة شبكة العلاقات العامة التي يملكها، أن يجد مكانها بسهولة ولكن، ما الفائدة من ذلك؟

ذلك أن كل شيء انتهى بينهما. لم يبق من تلك الأشهر المشحونة بالعاطفة التي مرت بهما، سوى قطعة موسيقية

وضعها في لحظة عاطفية، احتفالاً بحبهما... وكان اسمها (معزوفة أندريتي) وهو اسم المطعم الإيطالي الذي كانا يفضلانه. إنه يفكر الآن في الحماقة التي دفعته لاختيار هذا الاسم. وقد وهب هذه المعزوفة إلى بيني. وقد سجلها بشكل بدائي، على شريط عادي مصمماً على إعادة إخراجها فيما بعد بشكل مناسب للعزف في الحفلات، وكان قد أعطاها لبيني في ليلة حدوث الاصطدام، لكي تعزفها. وبعد ذلك أنساه إياها تواتر الأحداث.

إنه لم يعرف قط رأيها في تلك المعزوفة، أو حتى ان كانت قد سمعتها أصلاً. فهو لم يعرف ولم يهتم. لقد كانت قطعة موسيقية لم يشأ قط أن يعزفها مرة أخرى.

من المؤكد أنه لم يسجلها قط، فكيف تدّعي هذه الفتاة سوزان كيمبر، بأنها سمعتها؟

إن رسالتها لا تحوي أي مفتاح للغز. فإسم كيمبر لا يعني شيئاً بالنسبة إليه. ولكنها بشكل ما، وفي مكان ما، سمعت معزوفة موسيقية وضعت لإمرأة معينة في هذا العالم. وكان يعلم أنه لن يرتاح حتى يعرف حقيقة الأمر.

وجاءه الإلهام في أن يضغط على الهاتف الداخلي الذي بينه وبين المساعدة. وجاءه صوت تونيا على الفور من مكتبها المحاذي لمكتبه: «نعم، أيها الرئيس؟»

فقال متصنعاً الخشونة: «أما زلت هنا؟»

فأجابت: «كنت قد منحتني إجازة بعد الظهر، وما زال هناك دقيقتان للظهر. فهل تريد مني قضاءهما بعمل مفيد؟ أم انك تريد أن نضيعهما بالكلام؟»

فقال: «إنك نشيطة وذكية بقدر ما أنت لا تقدّرين بثمن،

وهنا فرصة لك لتبرهني فيها على ذلك. هل جاء ضمن رسالة تلك الفتاة كيمبر، مغلف معنون لإرسال الرد؟»

وسمع خشخشة الورق، ثم صوتها يجيب: «نعم، يوجد مغلّف كنت قد وضعته جانباً لكي أجيب عنه فيما بعد.»

فشعر بصدره يضيق وهو يجيب: «أظنه عنوان المدرسة أو ما أشبه؟»

فقالت: «الواقع انه ليس كذلك. لقد كان على الفتاة الحمقاء تلك أن يحذرها أحد من إطلاع غريب على عنوان بيتها الذي وضعته بخط يدها على المغلف. والعنوان هو كانغالوما، خليج ناتشرالبي، وهي ضاحية جميلة.»

قطب جبينه وعاد بذاكرته إلى الماضي. أتراه نفس المنزل الذي يتذكر؟ لقد عثر الآن على العنوان، ولكنه لا يعرف ما يعني هذا، ولكنه سيعثر على ما يريد.

وسألته: «هل أدخل إليك المغلف؟»

فأجاب: «كلا، وشكراً يا تونيا. لقد أعطيتني الجواب الذي أريده حالياً.»

وشكر حظه لسذاجة تلك المراهقة. لقد كان عليها أن تستعمل عنوان مدرستها، ولكنها أخطأت فأرسلت عنوانها. والآن كل ما عليه أن يفعله هو اقتفاء الأثر ليرى إلى أين يقوده.

الفصل الثاني

قالت بيني مؤنبة برقة: «إنها المرة الثالثة التي تفتشين فيها في صندوق البريد، وذلك منذ عودتك إلى المنزل من المدرسة. ما الذي تأملين فيه؟ ربح جائزة ما؟»

فتورد وجه ابنة أختها وهي تقول: «من المفترض أن يصل الجواب من ريد براندن في هذه الفترة، فقد مضى على رسالتي إليه اسبوعان كاملان.»

فقالت بيني تواسيها دون انتباه: «إن اسبوعين هما فترة غير طويلة بالنسبة إلى رجل في مثل مركزه.» كانت تحدثها وهي لا ترفع عينيها عن شاشة الكمبيوتر التي كانت تعرض بوليصة شركة تأمين. ولكن أصابعها تجمدت فجأة على المفاتيح. آه، كلا، من غير الممكن أن تكون سوزي... واستدارت إليها قائلة: «ألم تكتبي رسالتك على ورقة عليها عنوان مكتبة مدرستك؟ ألن يرسل هو الجواب إلى المدرسة؟»

فأجابت سوزي بضيق: «نعم، لقد كتبت الرسالة على ورقة متوجة بعنوان المدرسة، ولكن...»

فقاطعتها بيني وقد شعرت بغصة في حقلها: «ولكن ماذا؟» ذلك أنها لم تشأ أن تشرك نفسها في هذا الأمر منذ البداية، وإنما ساعدت سوزي فقط في طبع الرسالة حيث أنها كانت تعني لها الكثير. ولم يكن لدى ابنة أختها فكرة عما أحدثه هذا في نفس بيني من ألم. ذلك أنه رغم مرور خمس سنوات، مازالت تشعر، حين تفكر في ريد براندن

وفي ما كان يمكن أن يكون، تشعر بذلك الجرح في قلبها لم يلتئم بعد.

كانت الرسالة تحمل إمضاء سوزي، ولكن عذابها كان في تخيله وهو يحمل الرسالة، ويقرأ الكلمات التي كتبتها بيني نفسها.

وقالت بصوت خشن: «سوزي؟»

فأجابت هذه تدافع عن نفسها: «لقد كتبت النص الذي علينا أن نتبعه كما قال لنا المعلم، ولكنني أضفت حاشية بخطي ووضعت مع الرسالة مغلفاً مرتجعاً مكتوباً عليه هذا العنوان. لقد ظننت أن جوابه، بهذه الطريقة، سيكون أسرع.»

فاكتنف نفسها ألم مبرح وهي تقول: «لا يمكن أن تكوني فعلت ذلك، يا سوزي.»

قالت سوزي: «حسناً، إنني سأبقى هنا إلى أن يعود والداي من وراء البحار بعد شهر. فكيف كان بإمكاني أن استعمل عنوان بيتنا؟»

فقالت بيني: «ولكنه أصبح يعلم الآن مكان اقامتك» وأضافت لنفسها، ومكان إقامتي أنا كذلك.

ولم تفهم سوزي السبب في تكدر خالتها هذا فقالت: «ولكنه ليس رجلاً غير طبيعي ليستوجب الأمر كل هذا الاستياء، إنه رجل محترم مشهور، فلا بأس إذن أن استعملت هذا العنوان، أليس كذلك؟»

كان شيء في سحنة بيني قد جعل لهجتها متخاذلة غير واثقة، وهي تقول:

«وما الذي كتبته في تلك الحاشية؟»

بدا الارتباك على سوزي وهي تجيب: «لقد أخبرته مبلغ

عشقي لسماع موسيقاه. حتى إنني لا أعرف لماذا أضفتها إلى الرسالة. ربما لأنك قمت بكل ما تستلزمه تلك الرسالة، فأردت أن أضيف إليها شيئاً من ذاتي. أتظنين أنني أفسدت الأمر؟»

وأثار منظر ملامحها المتفجعة شفقة بيني فأجابتها: «إنها طبعاً لم تفسد الأمر. ذلك أن علماء النفس المختصين بالإعلانات يقولون إن الحاشية هي اكثر الأشياء المرغوبة في أي رسالة مبيعاً. فغريزتك كانت على صواب.»

ولمعت عينا سوزي الدامعتان وهي تقول: «أحقاً. إذن فقد فعلت كل شيء الآن. إنني أعلم أنه كان عليّ أن اسألك عن ذلك أولاً، ولكنني مسرورة لعدم غضبك مني.»

فقالت بيني وهي تتنهد: «إنني لست غاضبة منك.» ذلك أن الفتاة لم تكن تعلم شيئاً عن ماضيها مع ريد براندن أثناء عملها مع الشركة التي كانت تتعامل مع تسجيلاته. فأسرة سوزي كانت تعيش في أديلايد في ذلك الوقت.

لم يكن الحب وآلامه، في نظر طفلة في التاسعة، ليعني شيئاً. أما بالنسبة إلى بيني، فقد كان ريد براندن هو رجل أحلامها. ولم تكد تصدق أنه كان مهتماً حقاً بتلك الفتاة البريئة ذات الواحد والعشرين عاماً التي كانتها. أما العقدة الوحيدة فقد كانت مساعدته الشخصية الرائعة الجمال، تونيا ريغ. ومازالت بيني تتذكر ما علّقت به تلك المرأة في أول مرة وصلت فيها بيني إلى مكتبهم لمناقشة موضوع الاعلان القادم الذي كانت مكلفة بكتابته.

لقد قالت لها تلك المرأة حينذاك، بكل برود ولؤم: «لماذا جئت إلى هنا؟ هل للتدرب على العمل؟»

وشعرت بيني بالإنزعاج وهي تشعر بنفسها تتوهج خجلاً وهي تذكر، متلعثمة، اسمها وغرضها من القدوم، فقد نجحت المرأة في جعلها تشعر بصغرها وعدم خبرتها.

وانتبهت تماماً إلى الفرق بين ملابسها التي كانت ابتاعتها من متجر شعبي، وبين ملابس تونيا المصمّمة خصيصاً، فقد كانت أسرة تونيا ثرية كما أخبرها، فيما بعد موظف في الشركة. وما كانت، في الحقيقة، بحاجة إلى العمل كمساعدة ريد الشخصية، ولكن كان غرضها من ذلك واضحاً.

أتراها نجحت، أخيراً، في الزواج من رئيسها؟ إن الصحف لم تذكر شيئاً عن ذلك، ولكن ربما كان ريد مستعملاً نفوذه ليبقي الأمر طي الكتمان. وغمر نفسها الألم حين وصل بها التفكير إلى احتمال أن يكون ريد متزوجاً من تونيا. ولم تنتبه إلا وسوزي تضع يدها على كتفها وهي تسألها: «هل أنت بخير؟»

فاغتصبت ابتسامة مرتجفة وهي تجيبها: «إنني بأحسن حال. لقد أطلت الجلوس إلى هذا الكومبيوتر ما جعل اعضائي تتصلب.»

فقالت سوزي: «انك تعرفين ما اعتدت أن تقوليه لي، وهو أن أخرج واستنشق الهواء النقي.»

فضحكت بيني بالرغم مما تشعر به من اضطراب، وهي تقول: «انك بهذا تذكرينني بأمك.» ذلك أن أختها جو، والدة سوزي، والتي كانت تكبرها بثمانية أعوام، كانت مغرمة باعطاء بيني النصائح. وها إن سوزي قد أخذت هذه العادة بالضبط عن أمها.

وعبست سوزي قائلة: «وهل هذا شيء حسن أم سيىء؟»

فمدت بيني يدها تنفش شعر سوزي الأشقر الحريري، وهي تقول: «إنه لا حسن ولا سيىء. إنه، كما اعتادت أن تسميه أمك، واقع الحال.» ووقفت وهي تقول: «ولكن الحق معك. عليّ أن استنشق هواءً نقياً. ان ما اكتبه هنا لن يحتاجوه مني قبل الغد، فبإمكانك أن تستعملي الكومبيوتر في فروضك المدرسية إذا شئت.»

فقالت سوزي لدى ذكر فروضها البغيضة: «لكنني أحب أن آتي معك إلى الحديقة.»

فدفعتها بيني بحزم لتجلسها على كرسيها الذي كانت تركته لتوّها. كانت تحب مرافقة سوزي على الدوام، ولكنها حالياً، كانت تشعر برغبة قوية في الانفراد بأفكارها لفترة.

وقالت لها: «فروضك أولاً، أيتها السيدة الصغيرة.»

فقالت سوزي: «والآن، من منا تبدو مثل أمي؟» وتابعت تذمرها، بينما كانت بيني تخرج من الغرفة.

كان الممر المنحدر الذي يقود إلى حافة المرفأ بحاجة إلى اقتلاع الحشائش منه مرة أخرى، كما رأت، وقد ساورها الشعور بالذنب، فقد شغلت، في المدة الأخيرة، بعملها الذي تعيش منه، وبالعناية بسوزي ما لم يدع لها وقتاً للعناية بالحديقة.

لا بد أن المنزل كان رائعاً عندما بني في أواخر سنة ١٨٠٠ ووضع فيه فريق عمل من البستانيين يتعهدون فدادين الأراضي المحيطة به، والتي تقلّصت، بمرور الزمن، إلى عدة مئات من الأمتار المربعة، ولكنها كانت ماتزال بحاجة إلى عناية منتظمة.

www.rewity.com
qege86

ربما أختها جو على حق في تحريضها على أن تبيع هذا كله، فتشتري ببعض الثمن شقة عصرية، ثم تستثمر الباقي لمستقبلها، حتى انها عرضت عليها أن تعطيها حصتها في المنزل حيث أن زواجها من رجل غني كان يسمح لها بذلك.

ولكن بيني لم تقبل بهذا، ذلك أنه عندما توفي والدهما، ترك هذه الأملاك لهما مناصفة، بشرط أن يسمح لبيني بالسكن في هذا المنزل قدر ما تريد.

وكان هذا الترتيب سخياً بما فيه الكفاية، فلم تشأ بيني أن تستغل كرم أختها جو. لقد كانت تنوي أن تشتري حصة أختها، مع أن ادخار المال بدا أصعب مما تصورت، عدا عن نفقات صيانة المنزل في نفس الوقت.

لم تكن هناك سوى طريقة واحدة تجعلها تترك كانغالوما... وهي إذا حدث ووقعت في الحب الذي يدفعها إلى الزواج. ولكن هذا كان يبدو لها وهماً من غير الممكن حدوثه. ذلك أن علاقاتها مع الجنس الآخر، بعد انفصالها عن ريد، كانت قليلة وسطحية في طبيعتها. هل بإمكانها أن تدع نفسها تقع في الحب مرة أخرى بعد أن جربت عذاب الفراق؟

ولطالما حدثت نفسها، ومازالت، بأن آلام الفراق هي أسوأ كثيراً من الألم المرافق للحب...

وهكذا كرست نفسها لما لا يسبب لها ألماً على الاطلاق، ألا وهو صيانة منزلها هذا والعناية به. أما شعورها، أحياناً، بالوحشة والفراغ العاطفي، فما هو إلا الثمن الذي صممت على أن تدفعه.

ولم تكن مشاركة أختها لها في الحياة في المنزل هذا،

متوقعة. ذلك أن جو لم تسكن فيه منذ زواجها من أندرو كيمبر، ولكن بيني لم تغب عنه سوى تلك السنتين اللتين عملت فيهما في لندن، إلى أن اضطرها مرض أبيها للعودة إلى منزلها للعناية به، هذا المنزل الذي بقي ملاذاً لأجيال عديدة من أسرة سوليفان، لقد كان هذا المنزل الذي كانت بيني مولعة به، ارثاً، وكانت مصممة على التشبث به.

ولم يكن هذا يعني أن هناك الكثير الذي عليها أن تتشبث به، حالياً، كما كانت تفكر مكتئبة، وهي تستدير لتواجه المنزل. لقد كان إيجاد المال الذي تحتاجه لصيانة المنزل وترميمه، يسبب لها قلقاً دائماً. فقد كان والدها ينفق المال حال وصوله إلى يده لا يكاد يترك منه شيئاً لصيانة منزله في كانغالوما. ومع ذلك، فقد بدا منظره من حيث كانت تقف هي الآن، شاعرياً للغاية بنبات اللبلاب الذي يغطي جدرانه، والمدخنة ذات الأنابيب والسطح المغطى بالقرميد القديم ذي اللونين الأزرق والأحمر اللذين بهتا بفعل عوامل الجو.

كان القادم من هذه الناحية، يدخل إلى المنزل عبر شرفة رحبة، ليصل إلى قاعة واسعة مسقوفة بخشب السنديان. وفي الطابق الأعلى كان ثمة عدد من الغرف الصغيرة الطريفة لتربية الأرانب، يصعد إليها بسلم متعرج ينتهي بشبه برج صغير.

وكان في الطابق الأسفل غرفة الطعام بنوافذها العريضة المقسمة إلى أجزاء، وسقفها المقوّس ومدفأتها القديمة الطراز، والتي كانت بيني مولعة بها أكثر من أيّ شيء آخر، وكانت هناك صور تحتل جداراً بأكمله، تمثل وصول أول أسطول من السفن إلى خليج سيدني. وكان هذا الرسم ثاني

www.rewity.com gege86

رسمين في استراليا لا يوجد سواهما. وهما من رسم فنان مشهور، في ذلك الحين، الرسام البحري للملكة. ويقال انه رسم هذه اللوحة الجدارية رداً على حسن ضيافة أحد أسلاف بيني له.

وقد تركت هذه الصورة الجدارية تأثيراً عميقاً على ريد عندما رآها. وانتاب بيني ألم حاد مفاجىء وهي تتذكر وقوفه بجوارها، على هذه البقعة نفسها، يضعان معاً خريطة اصلاح المنزل، كانغالوما، والذي وافقها على أنه كان مسألة حيوية. فهو ما كان ليوافق قط على فكرة بيعه.

تساءلت بيني وهي تتوجه نحو المرفأ ما جعل نسائم البحر تعبث بشعرها، عما إذا كان رأي ريد مازال له أيّ قيمة الآن. وربما لم يكن هناك حاجة بها للقلق من أن يصل بينها وبين رسالة سوزي لمجرد أن المغلف المرتجع كان يحمل عنوانها. فهو، بعد كل هذا المجد والصعود في عالم الموسيقى، ربما تراه قد نسي حتى اسمها هي.

وتساءلت بقنوط، عن السبب الذي يمنعها من نسيانه، هي أيضاً، كما نسيها. ذلك أن خمس سنوات كان يجب أن تكون كافية جداً لطيّ ذكرى علاقتهما هذه. ولكنها كانت تؤكد لنفسها أن هذا كان ممكناً أن يحدث لولا صورته التي كانت تطالعها على الدوام في مختلف وسائل الاعلام.

ولكن، من كانت تستغفل يا ترى؟ إنها، حتى ولو لم تكن رأت صورته منذ افتراقهما، إلا أنها كانت ستبقى مشتعلة في ذاكرتها وكأنما دمغت بجذوة من نار.

منذ اللحظة التي طلب منها الخروج معه ليتحدثا في شؤون العمل، كما ظنت هي بسذاجة، منذ تلك اللحظة اشتعلت

بينهما العواطف بشكل عنيف. لقد نحّى جانباً القلم والدفتر اللذين كانت أحضرتهما معها، ليمسك بيدها عبر المائدة، عند ذلك قالت له: «ظننتك تريد أن نتناقش بالنسبة لبرنامج الحفلة الموسيقية.»

فنظر إليها بعينين شعرت بلهيبهما في أعماقها، وهو يجيبها قائلاً: «أتريدين أن نتناقش في مسألة البرنامج؟»

ولم تكد تجد صوتها وهي تجيبه قائلة: «كلا.»

فقال: «هذا حسن. يمكننا إذن أن نتحدث عن أشياء اكثر أهمية بكثير، مثلاً، لون عينيك الرائع، وعما إذا كنت تفعلين شيئاً لشعرك لتجعلي لخصلاته على جبينك كل هذا البريق.»

وكان انجازها للعمل في ذلك المساء، قليلاً جداً، وكذلك في كل المناسبات الأخرى التي كانا يمضيانها معاً. وقد كان يزوّدها بتذاكر لحفلات أصدقائه ويوسّع من ثقافتها الموسيقية بتعليقات هامسة.

ولم تكن الثقافة الموسيقية هي الوحيدة التي كان يعنى بتوسيعها. احمرّ وجهها لهذه الذكرى، فقد كان مادياً اكثر منها، فأوصلها إلى قمة أحاسيس لم تكن تحلم قط بإمكانية وجودها بين المحبين. فقد كان في منتهى الرقة والحنان، وكان يجعلها تشعر بنفسها وكأنها جوهرة لا تقدّر بثمن. لو أنه فقط، رافقهما هي وتونيا عقب تلك الحفلة الموسيقية في كانبيرا منذ خمس سنوات. ولكن وسائل الاعلام كانت تريد منه المزيد من المقابلات، بينما كانت تونيا تلح في العودة إلى فندقهم، قائلة لها: «إذا كنا سننتظر، فلن ننتهي أبداً، دعينا نذهب.»

كانت تريد أن تنتظر ريد ولكن قلقها على تلك المرأة

جعلها توافق على العودة معها إلى الفندق. ويا ليت الزمن يعود، لتعود هي فتبدّل من قرارها ذاك.

وعادت إليها ذكرى باهتة لخادم خاص قد أحضر إليهما سيارة ريد. ولكن كل شيء حدث بعد ذلك كان مشوشاً في ذهنها إلى درجة مخيفة. الليلة الماطرة، الشوارع الزلقة والتي تنعكس عليها الأضواء، أضواء وإشارات السير وقد اختلطت جميعها في ذاكرتها. وفي احلامها كانت تسمع صرخات الرعب ممزوجة بصوت مريع لانسحاق السيارة وهي تصطدم بشيء ما، ليتبع ذلك كله صمت مخيف. وعندما كانت تستيقظ، لم تكن تستطيع حتى ان تتذكر هذا.

وعندما أفاقت من اغمائها وقد تملك ذهنها التشوش وعدم التركيز، وجدت ريد يسحبها من السيارة المهشمة ليضعها في سيارة أخرى، علمت فيما بعد أنه كان استعارها من صديق. وقد نقلت هي وتونيا إلى الفندق حيث وضعتا تحت رعاية طبيب ريد الخاص، وكان تشخيصه هو جروح ورضوض وامكانية وجود ارتجاج في المخ عند بيني. وكانت الراحة والعناية هما العلاج الكافي. الكافي لكل شيء ما عدا تذكرها لما حدث بالضبط. لقد تذكرت، بشكل غامض، جدلاً حدث بينها وبين تونيا حول من منهما ينبغي أن تقود السيارة، ولكن لا شيء بعد ذلك، هل كان ريد على صواب؟ وهل أصرّت هي على تسلم القيادة رغم تعبها إلى حد الانهاك؟

كان هذا ما قالته تونيا، وما لا شك فيه أنها كانت وراء عجلة القيادة عندما عثر عليهما ريد. أما في ما عدا ذلك، فلديها فقط اعتقادها الخاص بانها حاولت ثني تونيا عن

القيادة، ولكن ليس لكي تأخذ القيادة لنفسها، ولما لم يكن هناك برهان على ذلك، لم تكن هي نفسها متأكدة من منهما كانت على صواب.

لقد جرحها في الصميم تعنيف ولوم ريد لها عندما أخذا يناقشان ما حدث. لقد بدا واضحاً عليه شعوره بخيبة أمله فيها، رغم محاولاته إخفاء ذلك. إن الأمد لن يطول به قبل أن يبدأ بتعييرها بما حدث تلك الليلة، وربما لدى حدوث أول خلاف جدّي بينهما.

ذلك أن كل هذا كانت رأته من قبل أثناء حياة والديها الزوجية، عندما استسلم والدها لضعفه، حين أقام علاقة مع إحدى زميلاته أثناء الدراسة عندما كان يدرّس الفن والتاريخ، لقد حطّم هذا والدة بيني، ولكنها صفحت في النهاية ومن ثم عادت مسيرة حياتهما الزوجية. ولكنها استمرت تعيّره بهذه الزلة فيما بعد كلما حدث بينهما شجار، إلى أن توفيت إثر أصابتها بالتهاب رئوي، وكانت بيني في الثالثة عشرة من عمرها.

ولم يكن من المفروض أن تعلما، هي وأختها، شيئاً عن شؤون والديهما، ولكن كان من الصعب أن تبقيا جاهلتين لذلك في الوقت الذي كان فيه هذا الموضوع يثار بطرق كثيرة مفزعة أثناء حداثتهما.

وذكرى ألم أبيها في كل مرة كانت أمها تعيّره بزلته هذه، هذه الذكرى جعلتها تقتنع بأنها لن تستطيع احتمال امكان وجودها هي في نفس الوضع. فلم تشأ أن تغامر، مفضلة على ذلك قطع علاقتها بريد رغم أن هذا كاد ان يقتلها في ذلك الوقت. ولكنها كانت تريد، إذا هي تزوجت، أن تبدأ

حياتها ناصعة الصحيفة دون أي وصمة يمكن أن تتخذ ضدها فيما بعد.

وتابعت طريقها. وقد تاهت بها الأفكار، فسلكت ممراً يقود إلى كوخ صيفي كان والدها قد أصلحه، ولكنه عاد فتداعى، وأصبح مغطى تقريباً بالنباتات والأزهار المتسلقة. وكان بجانبه مدخل مقبرة من العهد الفيكتوري.

وتنهدت. ما أكثر الأشياء التي تحتاج إلى أصلاح وترميم، ولكن الضغط عليها لكي تبقي المكان كما هو الآن، هذا الضغط بالغ الشدة، خصوصاً ودخلها ما هو إلا نتيجة عمل حر في الطباعة والنسخ بواسطة الكمبيوتر. حتى بهذا، كان دخلها اكبر مما لو كانت موظفة في مكان ما، ولكن الأملاك تمتص النقود كما يمتص الاسفنج السوائل.

وما لبثت أن حدثت نفسها بحزم، ان عليها أن تواجه الواقع والذي هو خارج عن موضوع المنزل حالياً، وأنها إنما تحاول تجنب التفكير بشأن ما قد يحدث إذا ما أجاب ريد على رسالة سوزي. هل سيكون باستطاعتها احتمال رؤيته مرة أخرى؟

من المحتمل أن يكتفي بإرسال رسالة رسمية مصحوبة باعتذار مهذب. إنه في هذه الأيام، أرفع شأناً من أن يجد وقتاً يرعى فيه تلميذة مدرسة موسيقى. إنه الآن يرأس أقوى اتحاد لشركات التسجيل المختصة بنشر الموسيقى الكلاسيكية بين العامة. فهذه كانت أحلامه على الدوام.

وتصلب جسدها وهي تتخيّل، دون وعي، منظر أصابعه تتحرك نزولاً وصعوداً على آلة الكلارينيت. كلا. عليها أن لا تفكر به الآن. لماذا لم تحاول إقناع سوزي باختيار موسيقي غيره ليكون مرشدها؟

«مرحباً، يا بيني.»

واستدارت بذعر وقد اتسعت عيناها وهي ترى جسماً شامخاً يقف في أول الممر. أترى أفكارها الصاخبة قد جسّدته أمامها؟ «كلا.» نطقت بهذه الكلمة بصوت أبح قد غلّف الرعب نبراته. لا يمكن أن يكون هو هنا... إنها ليست على استعداد.

وعبرت ملامحه الوسيمة موجة غضب سرعان ما حولها إلى جمود وهو يرفع حاجبيه ساخراً، وهو يقول: «كلا؟ ما أسرع هذا الرفض، يا بيني إنني لم أطلب منك شيئاً بعد.»

فتراجعت وهي تلمس الهزل في صوته. أتراه يجد الأمر مسلياً؟ ولكنها بعيدة جداً عن مشاعر التسلية في موقف كهذا.

قالت وقد أزعجها الإرتجاف في صوتها، بينما تثلجت أطرافها وهي تشبك يديها معاً في حركة دفاعية، وذلك دون وعي منها، قالت: «إن كلمة (كلا) هي المناسبة لكل ما قد تطلبه مني. وهي الكلمة التي استعملناها كثيراً في آخر لقاء بيننا.»

فأجاب ببرود مصححاً كلامها: «إنها الكلمة التي استعملتها أنت... يبدو أن شيئاً لم يتغير.»

وتملكتها رجفة وكأنما امحت السنوات لتراه أمامها، كما رأته آخر مرة، قادماً ليصبحها إلى حفلة موسيقية في دار الأوبرا. وقد رأت أن تنتظره في الكوخ الصيفي قبل أن ينطلقا في طريقهما.

كان يبدو كما هو الآن، تأخذ وسامته بمجامع القلوب، تحيط به هالة من الرجولة، وثقة بالنفس تكاد تصل إلى حد

الغطرسة، وكانت هي، كما هي الآن، تحبس أنفاسها إزاء مغناطيسية وسامته الأخّاذة. وكانت حرارة لقائه بها تماثل حرارتها. وسألته إن كانوا سيلاحظون غيابهما في الحفلة.

وألقى عليها نظرة جانبية ساخرة شعرت معها بأنها تكاد تذوب، وهو يقول: «هل أنت نفسك تلك الطابعة الصغيرة الخجول التي كنت أعرفها؟»

لم تكن تشعر معه بالخجل قط. فهي معه تشعر بأنها ملكة حقاً.

ثم تغير المنظر، لتعود مرة أخرى فترى المرأة العاجزة التي سحبها من بين الحطام. وسرى فيها الشعور بالذنب، والمذلّة وهي تتذكر الإدانة التي نطقت بها ملامحه حتى وهو ينطق بالصفح عنها.

كان بإمكانه أن يصفح ولكنه لن ينسى... هكذا فكرت في ذلك الحين، لترى الآن، من تفاعل المشاعر على وجهه، بأنه فعلاً لم ينسَ. أتراه يتذكر كيف تراجع منزعجاً من استهتارها، ناعتاً إياها بالطيش وعدم الشعور بالمسؤولية؟ لماذا لا يستطيع التفكير في كل هذا، وهو ينظر إليها الآن؟

وأشاحت بوجهها، تواجه المرفأ وهي ترغم أنفاسها على التباطؤ. يا ليت حضوره لم يذكرها بجرمها ذاك. ذلك أن صدمة لقائها بالموت مازالت تعيش معها حتى اليوم، جاعلة منها سائقة سيارة مثالية. فهي لا تريد أبداً أن ينظر إليها أحد بذلك الرعب الذي رأته على وجه ريد تلك الليلة.

لقد انتهت نظراته تلك في لحظة، ولكن الذكريات... الحلوة منها كانت تدفعها إلى البكاء، أما القاسية فكانت

تؤلمها، تلك الذكريات كانت ماتزال معها الآن وهي تجاهد للسيطرة على نفسها، لتتمكن من القول بصوت مرتج: «مادام لم يتغير شيء، فلماذا أنت هنا؟»

فأجاب: «إنك التي استدعيتني.»

فقالت وهي تجيل ببصرها حولها: «أنا استدعيتك؟ لا بد أنك مخطىء.»

فقال: «اتنكرين أنك كتبت إليّ طالبة مني المساهمة في برنامج مرشدين؟»

فأجابت: «إن ابنة أختي سوزان كيمبر هي التي كتبت إليك. إنها التي اتصلت بك وليس أنا.»

فأجاب دون أن يأبه لاضطرابها: «ان هذا كلام تافه وأنت تعلمين هذا. فبغض النظر عمن وقع الرسالة، فإنك أنت التي قمت بطبعها، أليس كذلك؟»

فقالت: «حسناً. لقد طبعتها لأجل سوزي. كيف عرفت أنت ذلك؟»

فأجاب: «هل نسيت أننا عملنا معاً بعض الوقت؟ إن بإمكاني تمييز طريقتك في الطباعة، ولا بد انك كنت وراء تذكرها لمعزوفة (أندريتي).»

فارتفعت أصابعها إلى فمها وهي تهتف: «ولكنني لم...»

فقاطعها قائلاً: «كلا. ولكن سوزي هي التي فعلت ذلك. لقد أضافت حاشية تقول فيها إنها تعشق سماع معزوفة أندريتي. وكلانا يعلم أنه لا يوجد سوى مكان واحد كان ممكناً أن تكون سمعت فيه هذه القطعة الموسيقية، كما أن شخصاً واحداً فقط أسمعها إياها.»

www.rewity.com gege86

وجف فمها وهي تقول: «مرة واحدة فقط كنت استمع إليها فسألتني عنها. وكنت أظن أنها نسيت كل شيء عنها.»

فقال: «من الواضح أنها لم تنس، ويبدو أن تلك المعزوفة تركت في نفسها من الأثر ما لم تتركه في المرأة التي وضعت المعزوفة لأجلها.»

يا ليت الأمر كان كما يقول. ودار رأسها وهي تتذكر كم من المرات كانت تستمع إلى هذه المعزوفة لكي تعزي بها نفسها في اللحظات الحالكة. لقد كان لتلك القطعة الموسيقية التي كتبها ريد، من دون أي تكلف أو مؤثرات صناعية، كان لها من الأثر على نفسها فوق ما لأكبر السيمفونيات، ذلك لأنها وضعت لها هي... إنها موسيقاها.

ولقد سبق لسوزي أن سمعتها في مناسبة الذكرى الأولى لوفاة والد بيني. وكانت بيني عادة، تتأكد قبل ذلك من أنها وحدها. إنما في تلك المرة، كانت الذكرى الحزينة قد شوشت إحساسها بالحذر. وكانت قد فتحت التسجيل في غرفتها ناسية أن سوزي قادمة لزيارتها. ولم تدرك بيني وقوف تلك الفتاة المراهقة عند بابها إلا عندما تأوهت منتشية والموسيقى تصل إلى النهاية بنغماتها الممتدة.

وما راع بيني أن الفتاة اندفعت نحو المسجل قبل أن تستطيع منعها، ثم أخرجت الشريط منه وقرأت اسم المقطوعة التي كتبت بخط ريد نفسه. ولم تستطع قراءة الخط، فقالت لخالتها مزهوة: «لقد ادركت أنها من وضع ريد براندن وان كنت لم أعرفها. ما اسمها؟»

فأجابت مرتجلة، تبرّر بذلك كون المقطوعة في حالتها

البدائية: «ان اسمها معزوفة أندريتي وأحد عملائي يفكر في استخدامها لدعم الاعلان عن نوع جديد من التلفزيون.»

فقالت سوزي: «هذا رائع. وإذا استعملوها، فهل ستعملين معه هو؟»

فأجابت بيني: «لا أظن ذلك. إنهم عند ذاك، يشترون حقوقها ثم يكلفون فرقة موسيقية بتسجيلها. أما براندن فلا يقوم بالتسويق بنفسه أبداً.»

واكفهر وجه سوزي، ولكنها تركت هذا الموضوع مما جلب الارتياح إلى نفس بيني. ذلك أن مشاركة شخص ما لها في الاستماع إلى هذه الموسيقى، مهما كان هذا الشخص مقرباً منها، يجعلها تشعر وكأنها تعري بذلك روحها.

كان عليها أن تدرك أن سوزي قد تتذكر هذه المعزوفة، ولكنها لم تتصور قط أنها قد تذكرها في رسالتها إلى ريد براندن.

والآن، ها قد أصبح هو هنا.

وقالت له: «إنني متأكدة من أنك لم تأت لكي تحاول إضرام النار في الجمرات الخامدة.» وانقبض قلبها شاعرة بالذنب وهي تراه ينتفض لدى سماعه كلماتها هذه. وأنى يمكن له أن يدرك أنها عبارة عن إشارة وقائية نطقت بها بدافع غريزي؟ ذلك أنها كانت بحاجة إلى وضع مسافة تبعدها عنه عاطفياً.

كانت تفترض على الدوام، أنها، إذا هي رأته مرة أخرى، فستختلف الأمور. ولم يخطر لها قط أنها ستجد شخصيته كما عهدتها قوة وتأثيراً. وأن مجرد رؤيتها له، سيوقظ في نفسها الشوق الذي ظنت أنها دفنته منذ زمن طويل. وذلك

رغم علمها بأن ليس في امكانها مواجهة الإحتقار الذي يكنه لها الآن.

وقال يجيبها: «أحياناً توجد شرارة حتى في الجمر الذي يبدو خامداً، وغالباً لا يحتاج الأمر سوى نفخة واحدة لكي تتأجج فيه النار.»

وتقدم منها خطوة، فتراجعت منكمشة نحو الجدار وقد بهرتها، رغم إرادتها، القوة الطاغية التي تظهر من ملامحه التي كانت تقترب منها شيئاً فشيئاً.

وللمحة خاطفة، استعرض ذهنها كل تفاصيل ملامحه هذه. رأت شعره متراجعاً إلى الخلف أكثر قليلاً مما كانت تتذكر، لتبرز جبهته العالية التي توحي بالذكاء. وحاجباه السوداوان ينعقدان فوق عينين لا يمكن لها أن تنساهما، واللتين كانتا تلتهبان وهما تنقبان في أعماقها بتلك القوة الغامضة في التقلب بين اللونين العسلي والفيروزي. وعندما أخذ يقترب منها، احتبست منها الأنفاس. وخفق قلبها بعنف. لم تكن تريده أن يقترب منها، ومع هذا...

ولكنه استدار جانباً، وهو يشتم، ولكنها، قبل ذلك، لمحت ملامحه تتغيّر. وغاص قلبها وهي ترى النفور يسود ملامحه تلك والذي لا يمكن أن يكون موجهاً سوى إليها.

وتملكها الغضب. لماذا لم تستلم هي زمام المبادرة، فتدفعه جانباً موضحة له بهذا انه لا يوجد جمر ليشتعل مهما حاول أن ينفخ فيه. ولكنها، بدلاً من ذلك، وقفت باستسلام سلبي، وقد بدا عليها الشوق إليه بشكل لا بد أنه لاحظه، فتجاوب معه إلى أن تنكر فجأة فعلتها تلك، وإمكان

تكرارها... لقد صفح عنها ولكنه لم ينس. فقد كانت الحقيقة في عينيه قبل أن يحوّلهما بعيداً.

وشعرت بالغضب يغلي في داخلها، فقالت: «لماذا لا تنطق به؟ لماذا لا تسألني إن كنت ما زلت أقود السيارة بسرعة جنونية؟ إن بإمكاني أن أرى هذا في ذهنك.»

فعاد يحوّل وجهه إليها وقد بدا الجمود على ملامحه، وهو يجيبها قائلاً: «من الواضح أن هذا ما تعتقدينه، ما لا يحل لما أقوله أيّ أهمية، أليس كذلك؟»

لقد رأت أنه لم ينكر ذلك. وتملكها التوتر. ولم تصدق مبلغ التشوش الذي أصاب مشاعرها منذ ظهوره. وكان هذا طبيعياً مادام قد ذكرها بليلة هي مستعدة للقيام بأي شيء قد يمحوها من حياتها، وليس لأنها مازالت تشعر بشيء نحوه. إنها لا تريد أن تعتقد عكس هذا.

وقالت بلهجة ضمنتها ما استطاعت من كبرياء: «أظن أنك من الأفضل أن ترحل من هنا.»

فقال: «أمازلت تستعملين التراجع حلاً لمشاكلك، يا بيني؟»

فقالت: «التراجع؟ إنني لا...»

فقاطعها قائلاً بخشونة: «إنك لا تعرفين ما أتحدث أنا عنه. لقد هربت مرة من قبل، عندما ساءت الأمور، فلا تفعلي ذلك الآن. إياك أن تفعلي ذلك.»

فرفعت وجهها. ربما كانت تستحق لومه هذا بالنسبة لتلك الليلة المشؤومة، ولكنها لن تدعه يتهمها بالجبن. ذلك أن تركها له كان اكثر تصرفات حياتها شجاعة.

وقالت: «انك لم تعد تعلم عنى شيئاً. ذلك أنني، لو كنت

صممت على الهرب من مشاكلي، لكنت بعت هذا المنزل بدلاً من التعلق به بأسناني، ولما عدت إلى المنزل للعناية بأبي ورؤيته يقترب من الموت يوماً بعد يوم. ثم ما كنت موجودة هنا الآن أتحدث إليك.»

وتألق نور غريب في عينيه الفيروزيتين، وهو يقول: «أرى أنه قد مرّت بك أحداث لا أعرفها. ربما قلة شجاعتك كانت فقط معي أنا... هذا مع أنني أتساءل عن حاجتك إلى الشجاعة بالنسبة إليّ. ذلك أنك، منذ سنوات قليلة، كان كل ما أنت بحاجة إليه هو الحب.»

وفكرت هي بمرارة، بأن ذلك كان في ذلك الحين، أما الآن، فلم يسبق لها أن شعرت بمثل الإرهاق النفسي الذي تشعر به أثناء هذه المواجهة معه، وقالت: «إنني آسفة لأنني ضيّعت وقتك. سأخبر سوزي أن هذه الفكرة لم تكن سوى غلطة.»

فالتهبت عيناه وهو يرد عليها قائلاً: «ربما كانت غلطة بالنسبة إليك، ولكن ليس بالنسبة إليّ، فأنا لا أنوي أن أخيب أمل ابنة أختك في سبيل أن تستردّي أنت كبرياءك. وهكذا. إما أن تعودي إلى المنزل معي بإرادتك، وإما أن أحملك إليه بنفسي. فماذا تفضلين؟»

الفصل الثالث

كانت فكرة أن يحملها إلى المنزل بين ذراعيه، كافية لكي تجعل بيني تطير طيراناً. فهي لم تشك لحظة في أنه يعني ذلك، ذلك أنها كانت قد تحدته ذات مرة مازحة، فحملها دون جهد بين ذراعين من فولاذ، متجاهلاً كل توسلاتها في أن يتركها.

لقد انتهى ذلك المشهد بالضحك. أما الآن فالأغلب أنه سينتهي بالهزء والاذلال. وهكذا أسرعت تتقدمه وهو يتبعها بخطواته الواسعة فتلفح أنفاسه وجهها مرسلة في كيانها شعوراً بالوحشة.

لماذا كان عليه أن يعود الآن؟ وماذا يريد منها؟ إن شعوراً يخامرها بأنه يقصد شيئاً أكثر من مجرد مساعدة موسيقية مبتدئة. أتراه ينتقم لتحديها له برفضها أن يفرض رأيه عليها؟ لكنها لم تكن تطلب أكثر من أن يوليها ثقته بدلاً من صفحه. ويظهر أنه كان يظن ذلك كثيراً عليها لأنه لم يلحق بها، لم يظهر عدم تصديقه لقصة تونيا عما حدث، فكان الأمر وكأن علاقتهما قد تحطمت مع السيارة في ذلك الحادث.

كانت سوزي ما تزال تعمل على الكمبيوتر عندما أدخلت بيني ريد المنزل، وبالرغم من كل شيء، كان التفكير في البهجة التي ستشعر بها سوزي حين ترى ريد يمنحها القوة.

وقالت تخاطبها بلطف: «لقد جاءك زائر، يا سوزي.»

فأجابت سوزي متذمرة دون أن تحول وجهها: «إذا كانت أماندا فأخبريها بأنني مشغولة.»

فلمعت عينا ريد بخبث ضاحك وهو يقول: «ولكنني لست أماندا.»

ولدى سماعها صوت رجل، رفعت رأسها وكان الذهول الذي بدا على وجهها يستحق كل ما تحملته بيني من ألم لرؤية ريد مرة أخرى.

هتفت سوزي: «يا للمفاجأة! إنه أنت ريد، أعني السيد براندن.» وتوهج وجهها وقد ملأها الزهو.

قال برصانة: «لا بأس أن تخاطبيني باسمي ريد. لا بد انك سوزان كيمبر التي أرسلت إليّ تلك الرسالة البليغة.»

فأجابت وهي تنظر إلى بيني باضطراب: «ادعيني سوزي. لقد تلقيت مساعدة في كتابة الرسالة. ذلك أن خالتي بيني مهنتها الطباعة، وقد أدركت مدى رغبتي في أن تكون أنت مرشدي، فأرجو أن لا تظن أن هناك غشاً أو ما أشبه.»

فقال: «كلا، ليس هناك أيّ غش. إن التماس العون في كتابة رسالة، يتصدر أي مشروع، حسب رأيي.»

فقفزت وهي تقول: «أشكرك. كان عليّ أن أقدّم لك مقعداً. أتريد قهوة؟ لقد صنعت خالتي كعكاً بالجزر هذا النهار. سأحضر لك بعضاً منه.»

فأمسك بالمراهقة المضطربة يوجّهها نحو كرسيّ ثم جلس على كرسيّ مواجها لها وهو يقول: «لماذا لا ندع خالتك تحضر القهوة بينما تحدثينني أنت عن طموحك الموسيقي؟»

فشعرت بيني بمرارة لإبعاده لها بهذا الشكل رغم إدراكها لرغبته في أن يريح سوزي. وأثناء صنعها للقهوة في المطبخ، كان كيانها يغلي بالمشاعر. لقد نكرتها شخصيته القوية وفي سيطرته السهلة على الموقف بأول لقاء لهما، وكيف كانت مثل سوزي الآن، كالعجينة بين يديه.

ومن خلال الباب شبه المفتوح، كان بإمكانها أن ترى ابنة أختها مائلة نحوه باهتمام. هل كانت بيني هي نفسها بمثل هذا الشوق المؤثر إلى نيل رضاه؟ وما لبثت أن اعترفت مكرهة بأن هذا صحيح. وكذلك هو جعلها تشعر وكأنها الشخص الوحيد الذي يهمه حالياً.

وعندما دخلت بالصينية إلى غرفة الجلوس، كادت ان تصطدم بسوزي التي كانت تندفع بسرعة صاروخية وهي تقول لاهثة: «إن ريد يريد أن يسمع موسيقاي.»

وعادت بعد لحظات تحمل الكلارينيت. وشاهدت بيني الرضا يكسو ملامحه عندما أخذت سوزي تُعدّ أجزاء الآلة بعناية. وسادت لحظة صمت كانت أثناءها الفتاة تستجمع أنفاسها، ومن ثم ابتدأت تنفخ لحناً كانت قدمته في آخر امتحان لها.

كان اداؤها رائعاً، حتى بيني نفسها أدركت مبلغ الموهبة التي تتمتع بها سوزي. وشعرت بسرور مفاجيء لكتابتها تلك الرسالة، رغم أن ذلك منحها رؤية ريد مرة أخرى، ولكن سوزي تستحق حقاً كل مساعدة يمكنه أن يؤديها لها.

وعندما انتهت الموسيقية الصغيرة، أظهر لها ريد تقديره النادر بأن صمت طويلاً قبل أن يجمع راحتيه معاً برقة وهو

يقول: «هذا رائع، يا سوزي. إنك تعزفين بنفس الحرارة التي كنت أنا أعزف بها، عندما كنت في سنك.»

فقالت وقد توهج وجهها: «آه، كلا. لا يمكنني أن أقارن نفسي برجل مثلك.»

فقال: «ولا ينبغي لك ذلك، إذ أن عليك أن تسعي ليكون لك أسلوبك الخاص. طريقة خاصة في الاداء تكون بمثابة توقيع، بحيث يستطيع السامعون أن يميزوا عزفك دون أن يروك.»

ومضى يدلي باقتراحاته بالنسبة إلى تنسيق وضبط فواصل الألحان، فيقول: «يجب أن يستمرّ انسياب الهواء وكأنك تطلقين نغمة طويلة.» ومدّ يده يأخذ الآلة منها لكي يثبت لها ذلك.

وجربت سوزي عدة نغمات كانت أكثر حلاوة وعذوبة. ولم تستطع بيني إلا أن تفكر في أن عدة دقائق أمضتها سوزي معه، قد أحدثت في ادائها مثل هذا التقدم، فكيف لو أمضت معه وقتاً أطول؟

قال منهياً الجلسة: «سنتحدث بشكل أكثر اسهاباً عند حضوري مرة أخرى.»

وصدرت عن بيني شهقة احتجاج لتقول بعدها: «كلا. لا ينبغي لك أن تفعل ذلك. أعني أن هذا مشروع مدرسي وهم لا يتوقعون منك أن تبذل كل هذا القدر من وقتك، بإمكانك فقط أن تستمع إلى أشرطتها التي تسجّل فيها عزفها، ثم تدلي بملاحظاتك وذلك في وقت فراغك.»

فنظر في عينيها، وهو يجيبها قائلاً: «يجب أن تتذكري أنني لا أقوم بنصف العمل يا بيني، فإذا كنت سأساعد

سوزي في موسيقاها، فهذا يعني أنني لن أكون بعيداً عنها.»

وصرخ صوت في أعماق بيني أن عليه أن يبتعد. وإلا فهذا سيكون أكثر مما تستطيع تحمله، أتراه لا يدرك هذا؟ وقالت تخاطب ابنة أختها: «أليس عليك أن تغسلي شعرك هذا النهار يا سوزي؟» ذلك أنها لم تكن تريد أن يستمر هذا الحديث بينها وبين ريد أمام الفتاة.

فألقت عليها سوزي نظرة احتجاج، ولكنها أخذت تفكك أجزاء الكلارينيت لتضعها في صندوقها وقد ساد ملامحها التذمر، ثم سألت ريد: «هل تعني أنك ستعود مرة أخرى؟»

فنظر إلى بيني وهو يجيب: «إنني لا أقول شيئاً دون أن أعنيه.»

فهتفت الفتاة: «أوه... إن هذا هو أعظم يوم في حياتي. شكراً... يا ريد.»

وشملت أنحاء الغرفة بنظرة تطفح بالسعادة، رغم أن بيني لم تشارك إبنة أختها حماستها هذه. ولكنها كانت مسرورة إذ تسمعها تصفر بفمها وتكاد ترقص في الممرّ وهي في طريقها إلى غرفتها.

وعندما أصبحا بمفردهما، قال ريد: «إن لديها موهبة هائلة.»

فأجابت بلهجة أكثر حدة مما كانت تقصد: «وهي كذلك صغيرة وضعيفة. وأرجو أن تتذكر هذا على الدوام.»

فسألها برفق: «هل تشيرين بهذا إلى نفسك أم إلى سوزي؟» وعندما لم تجب بشيء، رفع فنجان القهوة إلى شفتيه وهو يسألها: «لماذا تسكن معك؟ هل ثمة مشكلات في بيتها؟»

www.rewily.com
qeqe86

فأجابت: «كلا. إن أختي جو وزوجها يقومان برحلة في جنوب شرق آسيا، ولم يريدا لها أن تتأخر في دروسها. وبما أن بيتي هنا واسع، فقد...»

فقاطعها قائلاً: «هل تعيشين هنا وحدك عادة؟»

فأجابت: «نعم. في الأيام التي لا يسكن معي فيها شخص أحبه.» وقالت ذلك لأنها لم تكن تريده أن يشعر بأنها تعيش منطوية منذ تركها رغم أن هذا كان صحيحاً.

فنظر إلى الكمبيوتر وما يحيط به من منضدة خشبية وخزانة معدنية بجانبه مليئة بالأوراق والملفات، وقال: «هل تعملين هذه الأيام في بيتك؟»

فأجابت: «إنني أقوم بعمل حرّ منذ عودتي من انكلترا للعناية بأبي. وقد توفي منذ عامين، فرأيت أن من الأفضل أن أتابع العمل من هنا.» ولم تجد حاجة لإخباره بأنه من الصعب جداً الحصول على وظائف الوكالات هذه الأيام، إذ أن أيّ وظيفة يعلن عنها يتقدم إليها أكثر من خمسين طالباً لها. وهكذا، بدا لها أن من الأفضل أن تؤسس لنفسها عملاً، هذا عدا عن أن العمل في البيت كان يسمح لها بالعناية بأبيها المريض. وتدريجياً، أصبحت هذه هي طريقتها في الحياة، وهي لا تظن أنها ستغيّرها الآن إذا أصبح ذلك في إمكانها.

واستند هو إلى الخلف في كرسيه بكل راحة ما جعلها تشعر بأنها تكاد تنفجر في أيّ لحظة. لقد رأى سوزي وسمع اداءها، فما الذي يريده بعد هذا؟

وعندما زاد توترها حتى أوشكت على الصراخ، قال: «إنني لم أحضر إلى هنا لرؤية سوزي فقط.»

وبللت شفتيها الجافتين بلسانها وهي تجيبه: «وما هي الأسباب الأخرى التي لديك؟»

فأجاب: «فكري فيها بنفسك.»

فقالت: «لا تقم بألاعيب معي، يا ريد، فأنت تبعاً لما أقرأه في الصحف، لا تنقصك صحبة النساء. إذن لا يمكن أن يكون هذا سبباً.»

فضاقت عيناه وهو يقول: «ما كان ينبغي لك أن تصدقي كل ما تقوله الصحف. ولكن ليس...» وسكت لحظة ليكمل بعدها قائلاً: «ليس صحبتك هي ما أردت. لقد جئت لأعرض عليك عملاً.»

ونشب في داخلها صراع بين الارتياح وخيبة الأمل. كان ينبغي أن تشعر بالسرور لعدم رغبته في إعادة العلاقات بينهما، ولكنها مع هذا لم تستطع مقاومة الأسف الذي تملكها. وردت قائلة: «إن لديّ عملي هنا.» وخافت أن يكون قد لاحظ رنة الخذلان في صوتها.

فقال: «إن ما أفكر فيه لا يتعارض مع عملك هذا. فقد أوحت إليّ رسالتك التي وضعتها باسم سوزي، بالفكرة. ذلك أنني أنوء بمراسلات المعجبين ومطالبهم المختلفة والتي تحتاج إلى أجوبة مهذبة. فأنت ستكونين الشخص الذي يدير هذه الأمور.»

ولكنها، لأول مرة في حياتها، تشعر بأنها غير مهذبة وهي تردّ عليه قائلة: «أليس لديك تونيا لتدير مثل هذه الأمور؟»

فأجاب: «إن تونيا مشغولة جداً بصفتها المساعدة الإدارية لي، إن لديّ في أميركا مكتباً يتدبر أمر المراسلات،

www.rewity.com
geqe86

أما هنا فأنا أحاول أن أزيد من اتصالاتي الشخصية.»

فقالت: «إنك إذن تريدني أن أقوم بالأعمال الصعبة، لتخلّص تونيا من عبئها.»

وكادت أن تقطع لسانها بأسنانها حين شعرت بالغيرة تغلف سؤالها هذا. فقد كرهت أن يعتقد أنها تهتم لذلك ولكن الأوان كان قد فات.

ونظر إليها بحدة سمّرتها في مكانها وهو يقول: «إنكما أنتما الاثنتان، لم تتفقا قط، أليس كذلك؟»

لم يكن في هذا ما يدعو إلى الدهشة، بالنسبة إلى رجل تهتم به امرأتان بينما هو سعيد هانىء لا يلاحظ المنافسة المشتعلة بينهما، وردت ساخرة: «إن هذا لم يعد مهماً الآن، أليس كذلك؟ وإذا كنت لم تلحظ بعد، فاعلم أن عدد العاطلين من العمل قد ارتفع هنا أثناء وجودك في الخارج، فباستطاعتك أن تجد بسهولة من يتولى أمر مراسلاتك. فلماذا تختارني أنا؟»

فأجاب: «يظهر انك نسيت كم كان عملنا معاً حسناً. فقد كنت متجاوبة معي إلى حد كبير، حتى انني لم أكن، غالباً، أميّز النسخة التي كتبتها بنفسي من تلك التي سحبتها أنت عليها.»

وتساءلت بحزن، أين كان ذلك التجاوب بالنسبة لحادث الاصطدام؟ فهو لم يستطع أن يفهم كم كان مهماً بالنسبة إليها، أن يبرئها لفقدان الأدلة الكافية. لقد كانا بعيدين تماماً عن الانسجام في ذلك الوقت، ولم يتغيّر شيء من هذا. وأجابت: «هذا لن يفيدني، فأنا أفضل العمل من المنزل على العمل في المكاتب.»

فقال: «ولكن لا حاجة بك لتغيير نظام عملك هذا.»

فسألته: «أتعني أنك سترسل إليّ ما عليّ القيام بعمله؟»

أجاب: «سأحضره إليك بنفسي إذا كان هذا يقنعك بقبول الوظيفة هذه.»

وكانت فكرة أن يكون من عملائها ولو لم يضرّ ذلك بعملها الحالي، كفيلة بأن تهزها من الأعماق. كيف تستطيع حتى التفكير بالعمل معه مهما كان العمل جيداً؟ ألا يكفي أن يتدخل في موسيقى سوزي، لتفكر هي في إنشاء علاقة عمل معه؟ لا بد أنها جنّت حقاً.

وقالت له: «كلا... لا أظن أنها فكرة صائبة.»

فقال: «لأن السبب هو أنه ما زال في أعماق نفسك شيء مما كان بيننا في الماضي. أليس كذلك يا بيني؟»

وتساءلت، أمن الممكن أن يكون هذا صحيحاً؟ ولكن عقلها صرخ يستنكر ذلك، ولم تجد إلا أن تلجأ إلى إظهار الانزعاج من قوله هذا، فردت عليه قائلة: «يا لهذه الادعاءات المتغطرسة. لقد ابتعدت أنت قرابة الخمس سنوات، وهي فترة كان يمكنني فيها أن أتزوج وأنجب أطفالاً.»

فنظر إليها وقد بان الهزل في عينيه وهو يسألها دون اهتمام: «وهل فعلت أياً من هذه الأشياء؟»

فتساءلت عما جعلها تندفع إلى هذه الوسيلة لتبعده عنها عاطفياً. لقد كانت تحلم فيما مضى بالزواج من ريد وإنجاب أطفال منه، ولكن قلة ثقته بها وضعت حداً لكل هذه الآمال، وأجابته بحدة: «كلا بالطبع. فقد كنت مشغولة بتأسيس مستقبلي في مجال الإعلام في سيدني.»

فقال: «هل كنت مشغولة عن الحب؟ أليس في هذا

تضييعاً لما أتنكره من موهبتك البالغة في هذا المجال؟»

وشعرت بوجهها يتوهج احمراراً، وتشاغلت بتحريك سكر لم تضعه في كوب قهوتها التي لم تكن تنوي أن تشربها. فهي ما كانت لتملك تلك الموهبة لولا تعهده لها وتعليمه.

قالت وكأنها تدافع عن نفسها: «يبدو أنك واثق من تضييعي لموهبتي تلك كما تسميها لانشغالي بالعمل. ربما لأنني لم أشهر ذلك في الصحف كما فعلت أنت.»

فارتسمت في عينيه عاصفة أظلم معها وجهه، ثم قال: «إذن، فهناك رجال آخرون في حياتك، أم هو رجل واحد؟»

فأجفلت في داخلها لما يتضمنه سؤاله هذا من إثبات لقصص الصحف عنه، ذلك أن سرعة تصديقه لكذبتها هذه أخبرتها أنه كانت له فعلاً علاقات مع نساء. حسناً، وما الذي تنتظره؟ فقد كان غنياً ومشهوراً وذا جاذبية مدمرة. ولكنها فقط لم تكن تتوقع أن يؤلمها اكتشاف ذلك إلى هذا الحد.

وقالت له وقد أذهلتها حالة أعصابها شبه المنهارة: «لا أظن ذلك من شأنك.» وتساءلت كيف سيصبح حالها إذا هي عملت معه ما دامت مواجهة مختصرة مثل هذه، قد أدت بها إلى مثل هذا التوتر؟

ودهشت إذ أومأ برأسه قائلاً: «معك حق. فهذا ليس من شأني. ومع هذا فأنا أكره أن أراك تكافحين في الوقت الذي يمكنني فيه مساعدتك.»

إذن، فهذه الوظيفة ليست إلا إحساناً منه إليها. فهو يشعر بالأسى لأجلها، وشعرت بالمرارة وهي تجيبه قائلة: «أظن من الأفضل أن تذهب الآن. وإذا شئت أن تساعد سوزي

WWW.REWITY.COM

في موسيقاها فإن لمدرستها برنامجاً عليك أن تتبعه. وهذا لن يأخذ من وقتك الكثير.»

فقال بدهاء: «إما أن تسمحي لي بالعودة إلى عتبة بابك، وإلا فإنك لسوء الحظ تدفعينني إلى أن أرفض التماس سوزي.»

فنظرت إليه ذاهلة، ثم قالت: «ولماذا؟ هل لأنني لا أريد العمل معك؟ أم لأنني خيّبت أملك منذ خمس سنوات، وهذه هي فرصتك للإنتقام؟»

فاكفهر وجهه حتى أصبحت ملامحه بقسوة الحجر. وأدركت السبب في كونه قوة يحسب حسابها في عالم الأعمال. ذلك أن باستطاعته، إذا شاء أن يكون وكأنه قدّ من الصوان وقال: «ليس للانتقام أي شأن بهذا. لقد تفحصت برنامج المدرسة بشأن المشيرين قبل أن أحضر إلى هنا. وهو منهاج سطحي يراد به الشهرة من وراء بعض المشهورين، ولكنه لا يمنح التلميذ أي معرفة عميقة.»

فقالت: «إن المدارس لا تطلب من المرشدين معرفة عميقة لتلاميذها، وإلا فلن يساعدها أحد من كثيري الأعمال. فالبرنامج يمنح التلميذ التشجيع ومثالاً يحتذي به ليس إلا. إنهم لا يتوقعون إنتاج الروائع.»

فقال: «تعلمين ما يقال من أن الروائع تستغرق وقتاً أطول. فإذا كان الأمر يستلزم ارتباطاً أقوى بالتلميذ، فإنني مستعد لأن أبذل الوقت والطاقة، ولكن ليس أقل من ذلك، فإن عرضي الذي أقدمه هو كل شيء، أو لا شيء يا بيني. فما الذي تفضلين أن يكون؟»

فقالت: «ألا ينبغي لك أن تبحث هذا الأمر مع والدي

سوزي؟ إنهما سيعودان الشهر القادم. فأي قرار يجب أن يكون بالاتفاق معهما على كل حال.»

فنظر إليها متحدياً وهو يقول: «إنني لم أقصد غير ذلك. ولكن في نفس الوقت، بإمكاني أن أقوم بدور كبير في تطوّر سوزي الموسيقي. فهذه فرصة بالنسبة إليها، لن تعوض إذا حدث وخسرتها.»

كان يحشرها في الزاوية، كما يقال بحيث لم تعد تدري ماذا تفعل وقالت له بذعر: «ولكن أن تجعلني أعمل عندك في مقابل مساعدتك لسوزي، هو من نوع الابتزاز.»

فنظر إليها بضجر وقال: «اعتبريه كما تشائين. ولكن لو أنك لم تقبلي بالوظيفة، فماذا ستصنعين أثناء انشغالي مع ابنة أختك؟ أليس من الأفضل أن تقتلي عصفورين بحجر واحد؟»

لم تكن قد فكرت في الأمر بهذا الشكل. ربما ستكون هي الخاسرة إذا سمحت لقلبها بأن يتحكم في عقلها. وما الذي يجعلها تردّ مثل هذه الصفقة المربحة في الوقت الذي يحتاج فيه منزلها إلى مبالغ كبيرة تنفق على ترميمه؟ ثم ان هذا يجعلها مشغولة في كل مرة يزورهم فيها ريد بما يحضره إليها من عمل.

كما أن بإمكانها أن تستقيل من عملها معه عندما يعود والدي سوزي. ومن غير المعقول عند ذاك أن يرتد عن التزامه مع تلك الفتاة المراهقة.

قالت بصوت يكاد يكون همساً: «لا بأس، إذن سأجرب ذلك، ولكن إذا لم تنجح هذه الخطة...»

وبدا التصميم في ملامحه. ولا عجب أن تنتصر إرادته في

النهاية، كالعادة، قاطعها قائلاً: «إنها ستنجح، فهذا هو المعتاد بالنسبة لخططي.»

ازدردت ريقها، وكان خفقان قلبها وتبلل راحتيها بالعرق خير نموذج لما سيكون عليه أمرها عندما يعملان معاً. إن عليها أن تحاول اجتياز هذه المحنة لأجل مصلحة سوزي وهذا سيكون لمدة شهر واحد فقط. ألا يمكن أن تحتمل شهراً؟ وسألته بصوت أجش من الغيظ: «متى تريدني أن أبدأ العمل بالرسائل؟»

فأجاب: «في خلال أيام قليلة. فنحن ما زلنا مشغولين بإقامة البناء وتجهيزه، وبإمكان تونيا أن تتدبر الأمر إلى أن تزداد أعباء عملها. لقد كنت تتمشين خارج المنزل حين جئت، فلماذا لا نتابع نزهتك تلك معاً، ومن ثم ترينني ما الذي يحدث في منزلك [illegible]؟»

فأجابت: «إنني لا أريد تأخيرك، فأنت رجل مشغول هذه الأيام بإقامة بناية وتجهيزها في نورث سيدني.»

فنظر إليها متأملاً، وتمنت هي لو لم تظهر بجلاء أنها كانت تتبع مسيرته. وقال: «إن لديّ بناية أخرى مماثلة في لوس أنجلس وكذلك ستديوهات للتسجيل في أمكنة أخرى. ولكن ما جدوى أن يكون المرء هو الرئيس إذا لم يكن في استطاعته أن يرتاح من العمل أحياناً. كما هو الحال الآن مثلاً.»

وعندما لاذت بالصمت، مشى أمامها إلى الحديقة. ورأت هذه المرة منزلها بالهيئة التي لا بد أنه هو يراه عليها. قرميد السطح المهشم في بعض النواحي، المزاريب المسدودة التي تتسرّب منها المياه، الجدران المصدّعة،

الأسلاك وما أشبه... كان كل شيء في حالة مكدرة وبحاجة إلى الترميم أو الاستبدال.

المنطقة الوحيدة التي كانت تستحق أن تزهو بها، هي أرض القاعة المرصوفة بالقرميد.

وكانت متأكدة من أن عيني ريد لم تكن تغفلان شيئاً مما كانا يمران به.

قالت: «ما زال ثمة أشياء أريد القيام بها.» كانت حريصة، وهي تقول هذا، على أن لا تظهر في لهجتها معنى التبرير أو الاعتذار، فقد كان هذا بيتها وهي حرة سواء أصلحته أم تركته ينهار أرضاً، ولا شأن له هو بذلك.

قال متأملاً: «لا شك أن والدك أهمل الكثير من الأشياء أثناء مرضه.»

فتمتمت تقول: «آه، هذا شيء مفهوم تماماً.» وكانت في الحديقة مساكب لمختلف أنواع الأزهار والورود وقد نمت بينها الأعشاب الضارة. وفكرت بيني في أنه كان عليها أن تجد وقتاً للعناية بها، ولكنه لم يبد اهتماماً بالحديقة، وإنما بمنظر المنزل العام والمناظر المشرف عليها وخصوصاً خليج ناتشرال بي. لقد كان المنزل يقوم على مرتفع يشرف على الخليج ومن بعده على جزيرة الحدائق، ومنها على دارلنغ بوينت. كان هذا المنظر وحده يساوي مليون دولار فيما لو امتلك الشخص الوسيلة لترميم المنزل كاملاً.

وساءها أن يرى منزلها، ويراها هي، بهذه الحال من الفقر. وشعرت بنفسها فجاة لا تختلف في الإهمال عن مساكب الزهور تلك. فقد كان شعرها في حاجة ماسة إلى عناية الحلاق، ووجهها إلى الزينة، أما ثيابها فلا

تصلح إلا للعمل داخل المنزل عندما تكون الأبواب موصدة.

ما الذي حدث لتلك الفتاة الصغيرة الأنيقة التي ربما مازال يذكرها؟ والتي أنهكها مرض أبيها الطويل وأعباء الديون التي خلفها علاجه، من جهة، ومن جهة أخرى نفقات صيانة المنزل نفسه؟ أما ملابسها الأنيقة، فقد استبدلتها بملابس مستعملة تنطق بالفقر.

كم كانت الأمور مختلفة لو أنها بقيت مع ريد؟ وبدلاً من إنفاق كل مدخراتها على سفرها إلى ما وراء البحار، كان بإمكانها أن تسافر مع ريد كزوجة له. ويصبح المنزل، كانغالوما، أحد بيوته، وطبعاً كان هو سيعيده إلى سابق مجده وتألقه.

وارتجفت على شفتيها آهة أسى سرعان ما أخمدها شعورها بالغضب. إن ما منعهما من الزواج هو سبب قويّ، فلماذا الأسى والندم على ما كان يمكن أن يكون؟

وقالت له: «هل رأيت كل ما تريد رؤيته؟»

فأجاب: «آه، نعم.» واستقرت نظراته عليها طويلاً ما لم تعد معه أعصابها تحتمل. لقد كانت رجولته الفياضة تعذبها بما تثيره من ذكريات ما كان بينهما في الماضي، هل من الممكن أن تعود بهما الأيام؟

كلا. وأطبقت شفتيها بقوة لئلا تقولها بصوت عالٍ. لن تسمح له أبداً بأن يدوس على كرامتها مرة أخرى. إنها لم تقبل صفحه كما أنه لم ينل صفحها.

وقالت له: «إن هواء البحر بارد وأحب أن أعود إلى المنزل. أظن أن بإمكانك أن تجد طريق الخروج بنفس السهولة التي وجدته بها في الدخول.»

فأجاب: «يمكنني ذلك، وإنما عليّ أولاً أن أنتهي من حسم أمر واحد.»

فسألته: «ألا يمكن لهذا أن ينتظر إلى أن أبدأ العمل معك؟»

فأجاب: «كلا، فهو يتعلق بالمنزل، إنني أريده.»

فسرت البرودة في أعضائها، ولكن من الخوف وليس من هواء البحر، وقالت تجيبه: «إن المنزل ليس للبيع مهما كان الثمن.»

فقال: «هذا غير مستغرب منك أنت التي تضحين بالكثير لكي تبقي فيه. ولكنني أنوي استئجاره فترة إلى أن أجد مسكناً دائماً بهذه النواحي.»

فقالت: «إنه غير مناسب بشكل عام. وأنت ترى كم هو بحاجة إلى الإصلاح.»

فقال: «إن بإمكاني أن أصلح كل شيء، على نفقتي طبعاً، ما دمت أنا سأكون المستفيد.»

وفكرت في قوله هذا بكل تلك السهولة. وأحست بدافع يحثها على الرفض، فقالت: «لا أستطيع. فأنا لا أريد أن أسكن في أيّ مكان آخر.»

فقال: «ومن أتى على ذكر مكان آخر لسكنك؟»

فشعرت بصدمة لم تستطع معها أن تنطق، وما لبثت أن قالت: «إنك لا تعني أن نسكن معاً في منزل واحد؟»

فأجاب: «ولِمَ لا؟ لقد سبق وسكنا معاً في جناح في الفندق، حتى إننا لم نستعمل كل الغرف كما أتذكر.»

وكان في لهجته معنى جعلها تندفع قائلة بعنف: «لقد كنا، حينذاك نشترك في أكثر من مجرد السكن معاً. كنا نشترك في الثقة المتبادلة التي لا يمكن أن يصلحها أيّ مبلغ من المال.»

فقال: «هل أنت متأكدة أنه من غير الممكن إصلاحها؟»

وفكرت في أن الأمر كذلك ما دام يعتقد بأن في إمكانها تعريض حياتها وحياة الآخرين للخطر وذلك بقيادة السيارة بطريقتها الجنونية. وكان لديها جواب واحد له وهو نعم. إنني لا أريد أبداً العودة إلى إنشاء علاقة معك مرة أخرى. لقد أرغمتني على إنشاء علاقة عمل الآن، ولكنك لن تستطيع إرغامي على مشاركتك بيتي.

فقال: «إن جناح الضيوف سيكفيني حالياً، وأنا سأدفع لك إيجاراً حسناً له.» وذكر لها رقماً جعلها تترنح مصعوقة.

وقالت له: «إن هذا مبلغ غير معقول. إنك تعرف هذا.»

فأجاب: «إنني سأضاعفه إذا احتاج الأمر، لكي أحصل على ما أريد.»

وتمثل لها أمام عينيها ما كانت تحلم به من إصلاح المنزل وجعله منزلاً فخماً. فالمبلغ الذي يعرضه عليها يجعلها تكاد تلمسه. ونظرت إليه بارتباك، قائلة: «ولماذا كانغالوما بالذات؟ إن ميزانيتك تسمح لك باستئجار أي بناء يعجبك في سيدني.»

فأجاب: «ولكن هذا المنزل مختلف. إن ما يفتنني فيه هي نفس الأشياء التي جعلتك تتعلقين به. تاريخه القديم، جماله وما يوحيه بالتراث. لقد أصابني الغثيان من الفنادق والشقق. إن كانغالوما يمثل البيت بكل معنى الكلمة.»

وشعرت بالاضطراب، وقالت: «لا شك أنك نسيت أن هذا بيتي أنا. كيف بإمكاني أن أسكن هنا بينما أنت ساكن فيه؟»

فأجاب: «إن عليك أن تلاحظي سير العمل إذ أنني مشغول غالباً، كما أنني لا أملك معلوماتك عن تاريخ المنزل.» وتوتر

فمه وهو يتابع قائلاً: «إن بإمكاني أن أقيم في جناح الضيوف، وأعتقد أنه سيكون بإمكاني، عند ذاك أن أكبح جماح نفسي فيبقى بذلك استقلالك الذاتي محفوظاً إذا كان هذا ما يقلقك.»

فتورد وجهها احمراراً. كيف أدرك أنها كانت تتخيل الماضي؟ وشعرت بقلبها ينقبض ألماً. ألم تتعلم شيئاً من دروس الماضي؟ فإذا كانت أفكارها تخونها بهذا الشكل لمجرد التفكير في أنهما سيسكنان معاً في نفس المنزل، فما الذي ستفعله الحقيقة بها؟

لا شيء، لأنها لن تسمح بذلك، ذلك أنها التزمت بالعمل معه، لأجل سوزي وموسيقاها، فأي فرق يشكّله وجوده معهما تحت سقف واحد؟ إن مشاغله الكثيرة لا تسمح له بقضاء كثير من الوقت هنا، وعندما يجد المنزل الذي يريده، ستستعيد هي بيتها، ومعه التمويل الذي سيمكنها من إصلاحه والعودة به إلى سابق مجده وتألقه. وهي ستكون مجنونة إذا لم تنتهز هذه الفرصة، لا لشيء إلا لأنه سبق وكانت بينهما علاقة ماتت الآن ودفنت.

وما لبثت أن قالت مذعنة: «سيكون لك ما تريد. إنما لي شرط واحد.»

فألقى عليها نظرة من هو مستعد لكل شيء ما دام قد حقق ما يريد، وقال: «وما هو؟»

فقالت: «لا أريد أن تنتقل تونيا ريغ إلى هنا، وخصوصاً إذا كانت...» وسكتت فجأة وهي تبلل شفتيها بلسانها وهي ترى نظراته إليها تزيد من توترها، حرارة، ثم عادت تقول: «إذا كانت ستنام هنا.» لم تكن تحب تونيا، ولكنها كانت من

التهذيب بحيث تتحمل وجود تلك المرأة في العمل. وخجلت من أن تسأل نفسها لماذا لا تستطيع تحمّل رؤية ريد وتونيا معاً في كانغالوما.

لقد حدثت نفسها بأنها ليست غيورة من تونيا. ذلك أن الغيرة تعني أن أمر ريد ما زال يهمها، وهذا ليس صحيحاً. كان الأمر فقط هو أنها... أنها ماذا؟ لا يمكنها أن تتحجج بالأخلاق الفاضلة قائلة إنها لا تريدهما أن يكونا معاً. وشعرت برجفة، إنها لا... حسناً، لقد قررت أن هذا سيعطي سوزي أمثولة سيئة... فقط.

تساءلت لدى رؤية ملامحه الساخرة عن مبلغ الدقة التي وصلت إليها تكهناته بما فكر فيه، وهو يطمئنها قائلاً: «إن لدى تونيا مسكنها الخاص وهي ستتابع عملها في نورث سيدني. هل هذا يرضي شرطك هذا؟»

فأجابت: «أظن ذلك.» وما لبث الذعر أن تملكها. ما الذي تراها وافقت عليه؟ وفتحت فمها تريد أن ترتد عما وعدت به، ولكنه كان أسرع منها وهو يقول: «لقد انتهى الأمر إذن. وسأعود باكراً صباح الغد للانتقال إلى هنا.»

الفصل الرابع

كانت حركة المرور على أشدّها في شارع بن بويد أثناء عودة ريد إلى نورث سيدني حيث كان الكثير من العمل في انتظاره، وكان قد أمضى في كانغالوما مدة أطول مما كان ينوي، وسيدفع ثمن ذلك في ساعات الليل الطويلة. ولكن ذلك كان في نظره أفضل من العودة إلى شقته الموحشة فوق مكتبه. والاستقرار في ذلك المنزل القديم في خليج ناتشرال باي كان أكثر جاذبية.

ولما كان ذهنه مازال معتاداً على قيادة السيارة على الطريقة الأميركية بالنسبة لجانب الطريق، فقد كان عليه أن يركز على القيادة تجنباً لأي خطأ أحمق، ولكن هذا لم يمنعه من التفكير بما عليه أن يفعل بالنسبة لذلك المنزل القديم.

كانت العقبة في طريقه هي صاحبته الجميلة. فهو لم يكن ينتظر هذا الفيض من المشاعر الذي تملّكه حين رأى بيني سوليفان مرة أخرى، ذلك أنه كان يظن أن امره معها قد ذهب وانتهى. ولكن يبدو أن بقية من عاطفة جعلته يتذكر كل شيء لدى وقوع نظره عليها.

كانت ببنيتها النحيلة الرقيقة، تبدو كالصورة. وتملكه السرور وهو يرى شعرها مازال كما عهده، ناعماً مسترسلاً حول وجهها لم ينقص من جماله الطبيعي تصنع أو تكلف. وبدت له اكثر ضآلة مما يتذكرها. ولوى أصابعه وكأنه يقيس خصرها. كان يستطيع حملها بنفس السهولة التي

يحمل بها الكلارينيت، آلته الموسيقية المفضلة. وكان، والحق يقال، باستطاعته أن يعزف عليها، هي أيضاً، ولو أن الموسيقى التي كانت ستصدر عنهما هي من نوع مختلف تماماً.

وعبس إزاء صورته في المرآة، وهو يتذكر السبب الذي جعلهما يفترقان.

إن بيني لا تستطيع أن تفهم السبب في كل ذلك الخوف والقلق الذي استولى عليه من ذلك الحادث، ولكنها لم تكن موجودة وهو يرى، في التلفزيون، حطام سيارة والديه في نشرة أخبار المساء، ولا نظرت إلى الملاءة التي كانت تغطي جثتيهما اللتين سحبتا من السيارة. وقد أظهرت الكاميرا مقابلة ضابط شرطة مع رجل كان تهوره واضحاً وهو يبكي من الندم. وكأن ندمه ذاك قد أفاد والديه كثيراً.

لقد أعلن في النهاية، أن الأسماء لا تذكر قبل ابلاغ الأقرباء بالحادث، وأدرك ريد عندئذ، أنه هو... ذلك الغلام البالغ خمسة عشر عاماً، هو القريب الوحيد... وهو كل من بقي من أسرته.

كل آمالهم أصبحت حطاماً. فأبوه لن يصحبه أبداً في جولاته عندما يصبح موسيقياً شهيراً. وأمه لن تجلس أبداً في الصف الأول لدى أول ظهور له في كارينجي هول. كل الحب، وكل العون الذي كان يشمل غلاماً في الخامسة عشرة، كل هذا ذهب وانتهى، دمره شخص أحمق كان من الاستهتار بحيث لم يفهم المأساة التي صنعتها يداه.

لم يغضب ريد من قبل قط، كما غضب في ذلك الحين. لقد أخبروه، فيما بعد، أنه رفس بقدمه شاشة التلفزيون، ولكنه

لم يكن يتذكر شيئاً. كان يريد فقط أن ينفس غضبه العنيف بأي شخص وأي شيء. ذلك أن خسارته لم تكن لتعوّض. لم يكن يدري ما إذا كان في أعماقه، يستطيع أن يصفح عن عمل مريع كهذا. فهل من عجب بعد هذا، أن يغضب من أولئك الذين يقودون سياراتهم بسرعة جنونية؟ لقد كان يتوقع من بيني تفهماً أكثر مما أبدت نحوه.

ومع هذا، فقد تصرفت وكأنه هو المخطىء. لقد عرض عليها الصفح والنسيان. حسناً، ربما الصفح فقط، لأن أفكاره هذه تعني أن ليس بامكانه أن ينسى أبداً. ولكن لو أنها فقط كانت اعترفت بغلطتها، بدلاً من أن تبحث عمن توجه اللوم إليه، ربما عندذاك، كانت الأمور قد صلحت بينهما، ولأنها لم تستطع أن تتذكر أنها جلست خلف عجلة القيادة، فقد توقعت منه أن يصدق أنها لم تفعل ذلك.

وكان الحل عندها هو الهرب. الهرب إلى انكلترا للعمل. ولكن ألم يفعل هو أيضاً نفس الشيء؟ كلا، لم يكن نفس الشيء. فهو، بعكسها، لم يفعل شيئاً يجعله يهرب منه.

ربما رسالة سوزي التي جمعت بينهما، أمراً جيداً. فقد كان بحاجة إلى بيت يستقر فيه نهائياً إلى أن رأى المنزل، كانغالوما، مرة أخرى، فادرك أنه المنزل الذي يبحث عنه، وهو لم يكن صادقاً تماماً مع بيني عندما أخبرها أنه يقيم في منزل في المنطقة نفسها، إنه يريد كانغالوما وهو يعني ذلك بأي طريقة كانت، إذا كان ذلك يعني مشاركته لها بالبيت فترة، فليكن ذلك. وإذا كان لردة الفعل عنده، عندما وقعت أنظاره عليها، إذا كان لذلك معنى، فعليه أن يراقب خطواته. ذلك أن علاقته مع بيني قد سبق وانتهت وليس في نيته أن

يبدأ، مرة أخرى، مثل تلك العلاقة التي لاينال من ورائها سوى الجحود ونكران الجميل.

لا بأس، ذلك أن رؤية المنزل وهو يعود إلى سابق عهده، يشكل بالنسبة إليه، تحدّياً يرحب هو به. وأخذ ذهنه يعمل. إنه يعرف رجلاً يصلح لهذا العمل، وهو مختص بإصلاح وترميم الأبنية الأثرية. وإذا كان الأجر جيداً، فإن بإمكان ذلك الرجل أن يصلح الكثير، ومد ريد يده ليمسك بسماعة الهاتف.

«أليس هذا كله مخيفاً؟»

لقد اضطرت بيني إلى الموافقة وهي ترى مندوبي متاجر أدوات البناء، يتوافدون إلى منزلها، ولكنها لم تجد ما تصف به كل ذلك سوى هذه الكلمة (مخيف).

عندما قال ريد إنه سيقوم ببعض الاصلاحات في المنزل، ظنت هي أنه يعني طلاء جدران الغرف التي سيستعملها وفرش أرضها بالسجاد. ولكنها لم تحلم قط بانه كان يهدف إلى إعادة بناء كانغالوما وما حولها.

وكان عليها أن تشم رائحة غريبة في الجو، وهي ترى ريد يصل بصحبة مهندس معماري يريه البناء وما حوله، دون أن يلقي إليها بالاً. وكان متعهد البناء قد وصل منذ أسبوعين مصحوباً بالخرائط التي نشرها فوق مائدة غرفة الطعام.

لم تمانع بيني في نقل عملها إلى غرفة خلف المنزل ما دام ذلك سيكون لأيام قليلة فقط. ولكن عندما ازدادت ضجة البناء، والغبار، وروائح الدهان، ازداد انزعاجها. لمن يظن ريد هذا المنزل؟

وكان الجواب واضحاً إلى درجة مقلقة وهي ترى سترته معلقة على كرسي خلف بابها المفتوح. وكانت كتبه مكومة بجانبها على منضدة القهوة، وقهوته المفضلة موشا كينيا قد حلّت في المطبخ محل قهوتها المفضلة.

ولم يضايقها فقط، حضوره المادي، كما اضطرت إلى الاعتراف بينها وبين نفسها. ذلك انها لم تحسب حساباً لمشاعرها وهي تشاركه المنزل. فهو حتى في غيابه كان يحتل أفكارها باعثاً في نفسها الذكريات.

من تلك الذكريات، كانت نزهة خلوية في سينتينيال بارك، ثم ركوب الخيل بعد ذلك، وكان ريد يبدو فارساً رائعاً دون سلاح... لقد جلسا على الأرض يستمعان إلى أغنية هادئة، والنجوم تطل عليهما، بينما كان ريد يدندن مع الأغنية.

وكذلك عندما أبحرا من مرفأ سيدني في يخت أحد الأصدقاء. كان ريد جالساً عند الدفة والهواء يعبث بشعره، والحماس يتألق في عينيه...

وهتفت لنفسها مسترحمة، كفى... إن هذا لن يصل بها إلى شيء. ونظرت إلى يديها اللتين كانتا ترتجفان.

كانت تحاول أن تركز أفكارها على بريده المتراكم بين يديها، وكان فقط حصيلة ثلاثة أيام، عندما أطل رجل برأسه من الباب قائلاً لها: «سيحدث هنا شيء من الضجة هذا النهار، فحمامات الضيوف ستغطيها الألواح الخشبية التي تبطن جدران القاعة. انني انبهك إلى ذلك فقط.»

حمامات الضيوف؟ الألواح الخشبية؟ هذا يكفي... وأغلقت الكمبيوتر الذي كانت تعمل عليه، وغطته بغطائه ثم وقفت وهي تقول: «انني خارجة على كل حال.»

فأومأ برأسه استحساناً وهو يقول: «هذا أفضل ما يمكنك صنعه.»

وتساءلت عما إذا كان ريد سيوافق معها إذا هي ذهبت تواجهه في المكتب دون خوف حالما توصل سوزي إلى مدرستها. وبدأت الفتاة بالإحتجاج بأنها ليست طفلة، وأن بإمكانها أن تستقل الحافلة مع أصدقائها، ولكن نظرة واحدة إلى وجه بيني المتجهم جعلتها تسرع بإحضار حقيبتها.

وكانت هذه أول زيارة لها إلى ذلك الصرح الشامخ المبني من الخرسانة والزجاج، والذي يحتوي على شركة ريد. وقد فوجئت بحجمها وضخامتها، ما جعلها تدرك مبلغ نجاح ريد في دنيا الأعمال. وكان اسمه واسم شركته يتألقان أمامها وهي تدخل بسيارتها إلى موقف السيارات تحت الأرض.

قال لها المراقب وهو يشير إلى لوحة تحمل اسم ريد تتصدر مساحة تسع ثلاث سيارات: «إن هذا المكان مخصص للسيد براندن.» ورأت فعلاً، سيارته المرسيدس واقفة في ناحية منها.

ومنحت المراقب ابتسامة حلوة وهي تجيبه قائلة: «لا بأس، فنحن نسكن معاً.»

وتركته فاغراً فاه، لتتجه نحو صف من المصاعد حيث استقلت واحداً منها، وهي تكبت مشاعرها، ثم ضغطت الزر الذي يشير إلى الطابق حيث مكتب المدير. وفتح باب المصعد لتنفذ من خلاله إلى مكتب استقبال يمثل القمة في الغنى والرخاء.

www.rewity.com qege86

وكان منظر الرخام، معدن الكروم، والسجاد الفاخر والأثاث الذي يحمل آخر لمسات الفن، قد أنساها غرضها من المجيء، ما الذي جاءت لتفعله هنا؟ ولكنها ما لبثت أن تذكرت ان عليها أن تتحدث مع ريد في شؤون العمل، وأي مكان لذلك أفضل من مكتبه حيث يعمل؟

ومرّت بصفين من الموظفين قبل أن تصل إلى مكتب تونيا ريغ. وقلبت بيني شفتيها... ما أكثر ما فاتها بابتعادها عن دنيا الأعمال.

ارتسمت على شفتي تونيا ابتسامة شاحبة وهي ترى بيني، وقالت: «يا له من وقت طويل، بيني... سوليفان، أليس كذلك؟» وكأن هذا الاسم غير محفور في ذاكرتها. إذ كما تقول تونيا، قيادة بيني للسيارة، كادت تكلفها حياتها.

وجاهدت بيني لتبادلها ابتسامتها تلك وهي تجيبها قائلة: «مرحباً يا تونيا. انك رائعة الجمال كشأنك دوماً... إياك أن تقولي إنك استسلمت إلى الموضة الأميركية وأجريت عملية تجميل؟»

وتمالكت تونيا أعصابها، رغم الشرر الذي قدحت به عيناها الشبيهتان بعيني هرة، وهي ترد عليها بقولها: «هل تتكلمين عن سابق خبرة؟ لأن هكذا عمليات، نساء أسرتنا لسن بحاجة إليه.»

كانت هذه وخزة لبيني هي التي تسببت لنفسها بها، كما أخذت تحدث نفسها. فغيرت الحديث لتسألها بوداعة: «هل ريد في مكتبه؟ أريد أن أسأله بشأن العمل الذي يجريه في منزلي.»

فقالت تونيا: «آه، نعم. إنه يسكن في جناح الضيوف في منزلك موقتاً.» ولفظت كلمتها الأخيرة بتركيز.

شعرت بيني بنفسها تنزلق إلى حد القول: «وما الذي جعلك تظنين أنه يقيم في جناح الضيوف؟ إن لديّ غرفة جميلة واسعة في جناحي الخاص.»

أفزعت هذه الصراحة ليس تونيا فقط بل بيني نفسها. وشحب وجه المرأة الأخرى، ولكنها تمالكت نفسها بسرعة لتقول: «إن منزلك جديد بالنسبة إلى ريد، وهو يستمتع بصنع الأشياء الجيدة من الأشياء الرديئة، يا ليتك رأيت ما الذي فعله بمنزل فخم يكاد يكون مهجوراً، وذلك في جنوب أميركا. ولكنه، في العادة ما أن يكمل مشروعاً من هذا النوع، حتى ننتقل إلى مكان آخر.»

وكان استخدام تونيا لصيغة الجمع، مؤلماً لبيني، ولكنها تمالكت مشاعرها. فقد كانت قررت أمرها منذ خمس سنوات مهما سبب لها ذلك القرار من ألم. لا بأس. وأخذت تتساءل عما إذا كان ريد قد انتقل ليقيم في ذلك المنزل الذي ذكرته تونيا، وذلك إلى أن انتهى إصلاحه، كما قد يفعل بالنسبة إلى بيتها هي. وهنا تذكرت غرضها من هذه الزيارة، فقالت لتونيا: «هل لك أن تخبري ريد أنني هنا؟»

فأجابت هذه بابتسامة باردة خيبت أملها: «إنه في اجتماع حالياً ومقاطعته غير ممكنة.»

وأخذت بيني تقلب في ذهنها إمكانية اقتحامها عليه المكتب، ولكن الأبواب التي كانت تنفذ إلى مكتب تونيا، لم يكن مذكوراً عليها أيها غرفة الاجتماع، وهكذا قالت في النهاية: «سأنتظره.»

وقالت تونيا: «ربما طال انتظارك، ولكن كما تشائين، هل تريدين قهوة، أم لعلك تفضلين شراباً آخر؟»

وتنفست بعمق ثم قالت: «لا أريد شيئاً، أشكرك.»

فلوت تونيا عنقها وهي تسألها: «ربما تحبين تصفح مجلة... ربما تعجبك مشاريع الأسبوع إذ لا أظنك بحاجة إلى مجلة فوغ النسائية.» لا بأس، فقد كانت ملابس بيني المؤلفة من تنورة سوداء طويلة، وكنزة واسعة ذات لون أصفر باهت، كانت هذه الملابس قديمة. ولكنها ارتدتها لتقابل بها ريد وليس لتبهر نظره بذوقها في الأناقة. ومع هذا، فقد تساءلت، وهي تنظر إلى طقم تونيا الصوفي الرائع بلونه البيج، تساءلت عن مبلغ الحكمة في قرارها ذاك. ربما كان اهتمامه سيزداد بها إن بدت بشكل اكثر تألقاً.

ما الذي جرى لها؟ لم تكن تهمها القيود والأعراف الاجتماعية بالنسبة لملابسها ومظهرها، فلماذا تغير الأمر ليصبح هذا مشكلة؟ لأن ريد قد عاد؟

ومدّت يدها تتناول مجلة أدبية، وهي تقول: «إن الملابس لا تصنع الرجل أو المرأة.»

ولكن تونيا لم تهتم لهذا التلميح، بل عادت إلى عملها وهي تقول: «اتظنين أنها كانت خطوة ذكية منك أن تجتذبي اهتمام ريد بتلك الرسالة الملفقة من ابنة أختك؟»

فحملقت بيني فيها وهي تقول: «انها لم تكن ملفقة، إن سوزي موسيقية، وبرنامج المرشدين هو مهم جداً بالنسبة إليها.»

فقالت تونيا وعلى وجهها تعبير غامض: «ومع ذلك، ألا تخافين على سمعة ابنة أختك؟»

فقالت بيني: «ماذا تعنين؟»

فأجابت تونيا: «إن ريد ليس له سمعة مشرفة بالنسبة إلى

النساء، ألا تخافين من أن يشوه سمعة مدرسة ابنة أختك بعلاقته؟»

فقالت بيني: «إنها ليست علاقة، فهو فقط يرشد سوزي في مجال خبرته الموسيقية. فما الضرر في ذلك؟»

فقالت تونيا: «حسناً، لا تقولي، فيما بعد، إنني لم أحذرك.»

فنظرت إليها بيني بارتياب، ولكن وجه هذه الأخرى كان غامضاً، وفكرت بيني في أنه ليس من عادة تونيا الاهتمام بسمعة الآخرين، فما الذي كانت تهدف إليه من وراء ذلك؟

ولم يكن لدى بيني ما يكفي من الوقت لكي تطيل التفكير في كل ذلك، إذ سرعان ما فتح أحد الأبواب وخرج منه عدد من رجال الأعمال وهم يتكلمون بجدية. وارتفع حاجبا ريد عندما رآها ولكنه انتظر إلى أن انتهى من مرافقة ضيوفه حتى المصعد، ليعود إليها قائلاً برقة: «لِمَ هذه الزيارة، يا ترى؟»

فألقت بيني نظرة على تونيا وهي تقول: «أريد أن أتحدث إليك على انفراد.»

فقال: «هذا حسن. سنتحدث إذن أثناء تناول الغداء.»

فقالت: «كلا، أظنني أفضل...»

ولكن ما كانت تفضله تلاشى لدى ضغطه على ذراعها وهو يسير بها نحو المصعد قائلاً: «أما زلت تحبين الطعام الإيطالي؟»

فأجابت: «نعم، إنما...»

فقاطعها قائلاً: «إن لي مائدة محجوزة باستمرار في مطعم بيكولو في شارع ميلسون.»

فزال اعتراضها لدى سماعها باسم ذلك المطعم الذي كان يشرف على مرفأ سيدني. اذ باستطاعتها أن تعتبر هذا الغداء نوعاً من العقوبة تنزلها بريد لاقتحامه حياتها المنزلية بمثل تلك الخشونة والفظاظة.

لم يكن للمطعم واجهة جذابة، وكان متوارياً خلف برج مكاتب عصري، ولكنه في الداخل كان يشرف على مناظر رائعة للمرفأ من خلال جدار من النوافذ، كانت اليوم مفتوحة للنسائم الرقيقة ولشمس الربيع الرائعة.

كانت مائدة ريد بجانب نافذة منها. وأخذ النسيم يداعب وجهها. فطلبت مياه بيرييه المعدنية، وطبقاً من القريدس.

وناول ريد قائمة الطعام إلى النادل، قائلاً: «إنني سأتناول الطعام نفسه.» ومال نحوها يسألها: «والآن، ما هو الشيء المهم الذي لم تستطيعي إرجاءه إلى الليل؟»

لقد كانت مخطئة، فهذه الجلسة هي اكثر إلفة ومودة من أن تناسب تلك المحاضرة الخشنة التي كانت استعدت لإلقائها عليه. وابتدأت تقول: «بالنسبة إلى الاصلاحات، إنها كثيرة جداً، وعليك أن توقفها.»

فسكت ليسكب نوعاً من العصير كان قد طلبه، ثم قال: «إذا كان ذلك لأجل النقود، فإنني أنا الذي أدفع مادام ذلك لمصلحتي.»

فقالت: «ليس هذا هو الموضوع. كنت أظنك تعني مجرد الطلاء والسجاد. وعند حضوري إليك، تركت في المنزل عشرة نجارين يكسون جدران القاعة بخشب الأرز، وأربعة سباكين مشغولين بإخفاء حمام خلفها.»

فقال: «ألست راضية عن مقدار كفاءتهم في العمل؟»

أجابت: «كلا، أعني إنني راضية طبعاً عن ذلك، فعملهم غاية في الفن والجمال، ولكن هذه هي المشكلة، إذ ليس بمقدرتي أن أعيش بهذا المستوى.»

ووصل الطعام، فابتدأ هو يأكل، بينما لم تمس هي طعامها، وقال: «إنني لا أفهم ما تعنين بكلامك هذا.»

فابتدأت تشرح له كيف ترك والدها هذا المنزل لها ولأختها جو على أن يسمح لها بالعيش في المنزل قدر ما تدعو حاجتها لذلك، لتنتهي بما تحلم به من شراء حصة أختها، ثم انتهت بالقول: «فإذا كان المنزل سيصبح بهذا المستوى الذي تقوم أنت به، فلن أتمكن أنا، بعد ذلك، من شراء تلك الحصة. إنك بهذا، تجعله غالي الثمن جداً.»

وبعد أن انتهت من قول ما أرادت قوله، ابتدأت تتناول الطعام الذي كان لذيذاً إلى درجة مدهشة. وكانت التعاسة تفتح شهيتها دائماً. وسكت برهة يعبث بشوكته، ثم قال: «ولماذا لم تخبريني بذلك من قبل؟»

فأجابت: «لو كنت أعلم أنك ستقوم بكل هذا العمل، لأخبرتك.»

وفكر لحظة وهو ينظر من النافذة، ثم قال: «إن الحل واضح.»

فسألته: «هل ستوقف جيش عمالك عن العمل؟»

فأجاب: «كلا، وإنما سأجعلهم ينتظرون إلى أن أتمكن من تثمين المنزل بصفته الحاضرة، وذلك بصفة رسمية، ومن ثم لا يعود ثمة حساب للتصليحات عندما يتقرر كم تستحق حصة جو، لأنني سأشتريها.»

فقالت: «وهل هذا ممكن؟»

فأجاب: «كل شيء ممكن إذا وجدت العزيمة الكافية.»

كانت هذه فرصة لم يكن ينتظرها. فهذا الحل سيمنحه حقاً في المنزل، كانغالوما، قبل وقت طويل مما كان يتوقع. وسيسهل عليه، بعد ذلك، أن يقنع بيلي ببيع حصتها له هي أيضاً حين تسلم بالحق الذي سيكون له في المنزل عندذاك.

ورأى من الغضب الذي بان على ملامحها، أنها قد انتبهت إلى هذه النقطة هي أيضاً، وقالت: «هذا يعني أن علي أن أدفع لكما أنتما الاثنين الآن. فكيف سيكون بإمكاني ذلك؟»

فأجاب: «ألم تسمعي بالمثل الذي يقول: «مادامت هناك إرادة، فهناك طريق؟»

وفكرت في أن هذا لا يخرج عن كونه إرادته هو، وطريقه.

وعندما أحضر النادل إليهما النوع الثاني من الطعام الذي سبق وأمرا به، ندمت لطلبها هذا النوع من سرطان البحر المشوي لأنه يقدم عادة، في طبق كبير مشترك بينهما، ويؤخذ بالأصابع، وهذا معناه أنها لن تتمكن من تجنب ملامسة يدها ليده حين يمد كل منهما يده في وقت واحد.

ولكنها ما لبثت أن لاحظت، وقد تملكها الضيق، أنه هو الذي كان يسحب يده بسرعة كلما مدت يدها، متجنباً، بذلك، الملامسة، وأدركت من ذلك أنه مازال لا يحترمها ولا يريد حتى أن يلمسها، وذلك مهما كان تصرفه نحوها مهذباً.

وقال لها: «إنك لم تمسي شرابك؟»

فأجابت: «الحقيقة، انني لست راغبة به.» لم تكد تنتبه إلى حديثه أثناء الطعام، إذ كانت مركزة انتباهها على كل حركة ولفتة تصدر عنه... لقد كانت هذه الوجبة نسخة هزيلة عن الوجبات التي اعتادا تناولها معاً فيما مضى... ما بعث

في نفسها حنيناً جارفاً إلى تلك اللحظات البهيجة التي فقدت. فهي لم تنس كيف جذب يده غريزياً لكي لا تلمس يدها، منذ لحظات، أتراه يشمئز منها إلى الحد الذي يجعله يمتعض لمجرد لمسة يدها له، مصادفة؟ إذن، لماذا هو مصمم على مشاركتها منزلها كانغالوما؟!

وتذكرت ذلك المنزل الذي سبق وحدثتها عنه تونيا. هل كل ما يهمه هو مواجهة التحدي ازاء اصلاح المنزل؟ وربما لا يهتم حقاً إذا هي تركت المنزل كلياً؟

وبعد أن تناولا القهوة، أشار إلى النادل ليحضر قائمة الحساب، ليضع له بعد ذلك إكرامية جعلتها تجفل. ثم وقف وهو يسألها قائلاً: «هل عليك أن تحضري سوزي من المدرسة؟»

فهزت رأسها مجيبة: «كلا، فهي تفضل الحضور مع اصدقائها في الحافلة، وقد كانت هذا الصباح في منتهى الاستياء مني لأنني أصررت على توصيلها إلى المدرسة بنفسي.»

فقال: «إذن، فبإمكاننا أن نذهب إلى المنزل مباشرة.»

نذهب؟ ولكنها لم تكن قررت أن تذهب معه إلى أي مكان، ذلك أن الغداء كان قد استنفد كل قدرتها على الاحتمال وفوق ما كانت تتصور.

وقالت: «ولكن هذا غير ممكن لأن سيارتي مازالت في موقف بنايتك.»

فقال: «هات المفاتيح وأنا ساكلف من يحضرها إليك. انك تريدين اجراء هذا التثمين في أقرب وقت، أليس كذلك؟»

فقالت: «نعم... ولكن...»

فقال: «هيا بنا إذن.»

ومرة أخرى، كان يتصرف مدفوعاً لذلك بهدفه ذاك. هل هو كذلك على الدوام، قوة كمدّ البحر يدفع الآخرين نحوه؟ نعم، لقد اعترفت بذلك أثناء عودتها إلى خليج ناتشرال باي. ذلك أنه، منذ أول لقاء بينهما، استخدم قوته المغناطيسية تلك لاجتذابها والتي كان من غير الممكن مقاومتها. وقد كانت تظن، على الدوام، أنها لا تريد ذلك، ولكنه كان قراراً لم تشأ أن تجربه قط. وها هي الآن تتساءل عما إذا كان ذلك يشكل أي فرق.

ولكنه ما كان ليرغمها على شيء يخالف رغبتها. ولكنه كان قادراً على إقناعها إلى الحد الذي يجعلها عاجزة عن الرفض. وكلمة كلا جواباً لما يطلب، هذه الكلمة ليست هي الأسلوب الذي يقبله.

لقد قام بذلك مرة أخرى أثناء الغداء، وقد أدركت ذلك وهي ترمقه بنظرة جانبية طويلة وهو يقود السيارة. فقد اقتحمت عليه المكتب مصممة على أن تجعله يوقف العمل في بيتها. ولكنه بشكل ما تابع ما يريد. كيف حدث هذا؟ أنها غير متأكدة من شيء.

وأدركت أن من الخطأ أن تنظر إليه. ذلك انه يوجه انتباهها إلى القوة التي تحيط بشخصيته وهو يركز اهتمامه على حركة السير، وقد استرخت يداه على عجلة القيادة بسهولة، وفي كل مرة يتوقف عند الضوء الأحمر، تبدأ أصابعه الموسيقية في توقيع لحن لا بد انه كان يجول في ذهنه.

وشعرت بغصة وهي تتذكر أيامهما السالفة وحبهما

الماضي... أترى كانت الموسيقى غذاء لذلك الحب؟ وإذا كان الأمر كذلك...

ولكن، كلا... فقد أصبحا بعيدين عن أن يستعيدا تلك الأنغام مرة أخرى. إذ ما عليها إلا أن تتذكر التعبير الذي بدا على وجهه عندما لمست يده يدها مصادفة في المطعم. فقد كانت اللمحة السريعة من الصدمة والاشمئزاز التي بدت على وجهه، خير شاهد على رأيه فيها. ربما بامكانهما العمل معاً، أو حتى أن يصبحا صديقين بشكل ما، ولكن تحت الاقنعة كانت تكمن الحقيقة المرة، وهي أنه يحتقر كل ما يمت إليها بصلة.

وحدقت بكآبة في الطريق أمامها. لماذا تعود دوماً إلى نفس النقطة، فهو يعتقد أن بامكانها ان تعرض حياة الآخرين للخطر بما في ذلك حياتها هي، وذلك بقيادة السيارة، بينما هي مقتنعة بالعكس. فمن أين أتى اقتناعها التام بهذا في الوقت الذي كل الشواهد فيه ضدها؟

وضربت جبينها بباطن يدها بشدة. لماذا لا تستطيع أن تتذكر ماذا حدث بالضبط تلك الليلة منذ خمس سنوات؟ عندئذ، إما أن تقبل بذنبها وإما أن تظهر براءتها. هل هي حقاً تحاول إنكار فعلتها تلك؟ هذا ما يظنه ريد وهذا هو أساس النزاع بينهما.

وسألها: «أتشعرين بصداع؟»

فتركت يدها تسقط وهي تجيب: «كلا، كنت أفكر فقط.»

ومن حسن الحظ أنه لم يتابع الأسئلة. وما لبثا أن وصلا إلى كانغالوما، حيث ابتدأ ريد يصدر أوامره. وبعد فترة قصيرة كان العمال يجمعون أدواتهم. ومع ذلك فقد أكد لها أنهم

سيعودون حالما يتم تثمين البيت، قائلاً لها: «إنها عقبة بسيطة فقط.»

حسناً، فليذهب كل هذا إلى المجهول، ذلك أنها توقعت منه أن يعود إلى عمله مادام قد تدبر الأمر، ولكن يبدو أنه ليس مستعجلاً بالرحيل.

وقال: «إن سوزي ستعود قريباً، وبإمكاني أن امضي في تعليمها بعض الوقت.»

وفجأة، انتبهت إلى أنهما قد أصبحا بمفردهما في المنزل، وذلك لأول مرة. فقد ذهب العمال جميعاً وسوزي لم تعد بعد، وساورها شيء يشبه الذعر. ولكنها لم تكن خائفة منه وإنما هو شعور أشبه بالقلق والتوتر.

وسألته: «هل تريد قهوة؟»

فنظر إليها ساخراً وهو يقول: «كلا، شكراً.» كيف بامكانها أن تتصرف وكأنهما غريبان؟ هل هذا معقول؟ ولكن كل علاقة لها به قد انفصمت، ونفضت غباراً يعلو كومة من الكتب، ولكن الغبار سرعان ما عاد مرة أخرى. وسألته: «ما الذي تريده اذن؟»

فأجاب: «ثمة عدة أشياء أريدها، ولكنك لن تمنحيني أياً منها بارادتك، يا بنيتي.»

فرفعت رأسها متحدية وهي تقول بحدة: «إذا كنت ستطلب مني تسليتك، فأنت على خطأ، لأنني أفضل الموت على ذلك.»

فابتسم ساخراً وهو يقول: «لم تكوني دوماً بهذه السلبية نحو رغباتي من قبل؟»

وفكرت هي بانفعال في انه هو أيضاً، لم يكن بهذه

السلبية نحوها ولكنها لم تردّ عليه. ذلك أنه سيكون هو الرابح في نهاية أيّ معركة كلامية.

ومع أنها كانت تعيش من وراء الكلمات كطابعة فقد كان من المستحيل أن تستعملها كسلاح. ربما لأنها كانت من الادراك لقوة الكلمة بحيث لم تكن تحب أن تحدث بها جرماً لا شفاء منه.

ولكن، كانت تمر بها أوقات كانت تتمنى لو استطاعت أن تعبّر تماماً عن كراهيتها له. وان مشاركتها له القهوة أقصى حد لما يمكن أن يكون بينهما من علاقة بعد الآن.

وتابع يقول ببطء وكأنه قد تكهن بالضبط بما تفكر فيه: «انك لم تخبريني عما اذا كان هناك شخص معينً في حياتك.»

فأجابت: «بل فعلت حين قلت لك ان هذا ليس من شأنك، وانتقالك إلى هنا لم يجعلني أغير جوابي ذاك.»

فألقى عليها من زاوية عينه، نظرة طويلة ساخرة وهو يقول: «آه، ولكنك فعلت. اذ ليس هناك رجل يستحق هذا الاسم، ثم يسمح لرجل آخر بأن ينتقل ليسكن مع صديقته في منزل واحد. وهكذا كانت موافقتك على ذلك، هو الجواب الذي كنت بحاجة إليه.»

فقالت: «الويل لك يا ريد، لماذا اصرارك هذا على الإقامة هنا؟ لا يمكن أن يكون المحيط هو السبب، فإن الجو في مكتب سكرتيرتك أفضل منه في هذا المنزل. فلماذا تفعل هذا؟»

بدا الهزل في عينيه وهو يجيبها قائلاً: «أتعرفين ما يقال عن أن المزروعات في حديقة الجيران تبدو أفضل دائماً؟»

فأجابت: «وماذا لو اكتشفت، فيما بعد، أن المزروعات في هذه الناحية ليست اكثر اخضراراً؟»

وأرسلت نظرته التي أخذ يقيمها بها بكل صراحة، الإضطراب في كيانها، ما جعلها تفكر في الهرب بعيداً عنه بدلاً من البقاء لحظة أخرى متحملة هذا الحديث. ولكن عينيه سمّرتاها في مكانها وهو يقول: «إلى الآن، تبدو المزروعات هنا بالغة الينوعة والإخضرار في الحقيقة.»

فهزت رأسها قائلة: «انك تتخيل الأشياء.» فاقترب منها عدة خطوات وهو يقول: «عدا عن ذلك، فإن السنوات التي أمضيتها في الإداء على المسرح، مكنتني من أن أقرأ أفكار الجمهور، حتى صار بإمكاني تقريباً أن أعرف ما يفكرون فيه.» وداوم على الإقتراب منها وهو يتابع قائلاً: «فأنا دائماً أعرف ما يرغبون فيه.»

وشعرت بغصة في حلقها، وشعرت بقلبها تتسارع نبضاته وهي تقول: «انك مخطىء هذه المرة. لقد قبلت بمساعدتك لي بشأن المنزل ولكن هذا لا يعني أنني أريد منك اكثر من هذا.»

وخفق قلبها وهي تتذكر لحظات كهذه كانت تمر بهما فيما مضى.

قال لها: «هل أنت متأكدة من ذلك؟» وشعرت هي بالغرفة تدور بها.

ما كان أشد حماقتها وهي تظن أنها دفنت مشاعرها نحوه إلى الأبد.

وكان عليها أن تقوم بشيء، أي شيء يمنع وصول هذا إلى نهايته المنطقية. وتلفتت حولها، فضحك هو ساخراً

وهو يبتعد عنها قائلاً: «أرأيت؟ مازال بإمكاني قراءة خواطر جمهوري.»

قالت له بحدة وقد احمر وجهها: «لقد كانت غلطة مني أن سمحت لك بمشاركتي منزلي مهما كانت حاجتي إلى المال بالغة. وكان عليّ أن أدرك أنك ستستغل الوضع.»

فضحك قائلاً دون أن يهتم لغضبها: «آه، ولكنك كنت تدركين ذلك فعلاً. ولكنك فقط لا تريدين الإعتراف بذلك لنفسك.»

www.rewity.com gege86

الفصل الخامس

وسرى الاستنكار والغضب في كيانها، ذلك أنها لم تشأ أن تفكر في أنه قد يلاطفها، وهي لا تريد أن تفعل شيئاً مع رجل يحتقرها إلى درجة يتجنب أن تلمس يده يدها عرضاً، لماذا لم تدفعه عنها بشدة وهو يقبل جبينها؟ لماذا؟ أليس معنى هذا أن قوله كان صحيحاً وأنها لا تمانع في أن يستغل الوضع؟ ورأت من نظراته أنه تكهن بما كانت تفكر فيه ما جعله يبتسم بهزل سرعان ما تحول إلى رضى.

وقالت له ثائرة: «أظن مما يسليك أن تفرض نفسك على امرأة.»

فأجاب: «بالعكس، فأنا لا أجد في فرض النفس ما يسلي، خاصة في ما يتعلق بالعواطف.»

فاهتزت وهي تقول: «ما الذي جعلني اقترف ذلك الخطأ يوم ظننت أنني احبك؟»

فقال بهدوء: «كلنا نخطىء، ولكن البعض منا يقبل بالاعتراف بالخطأ اكثر من البعض الآخر.»

ولم تخطىء فهم ما يعنيه بكلامه هذا، ذلك أن انكارها لقيادة السيارة ليلة حصول ذلك الحادث، كان انكاراً للمسؤولية، ما الذي كان سيحدث لو انها كانت استسلمت؟ هل كان ذلك سيحفظ لها حبه؟

إذا كان الأمر كذلك، فهل كانت تلك خطوة كبيرة كان

عليها أن تقوم بها؟ لقد كان الرعب يتملكها من أن تكون مستحقة اللوم، ولكن أي تفسير كان بامكانها تقديمه في غياب الشواهد؟ ولكن، كان هنالك ما يمنعها من الاعتراف، كلا، حتى ولا البهجة التي شعرت بها وهي معه، كانت ستجعلها تغير من اعتقادها الثابت في أنه مازال هنالك المزيد مما لم يعرف بعد عن حادث تلك الليلة، كلا... وشكلت هذه الكلمة الأخيرة بشفتيها دون صوت.

رفع حاجبيه يسألها: «مازلت تستعملين هذه الكلمة (كلا)؟ إنها اصبحت مؤخراً كلمتك المفضلة، يا بنيتي.»

فأجابت: «إنني أجدها أفضل دفاع امامك.»

فبدا الغضب في عينيه وهو يقول: «حتى الحصون المنيعة يمكن اختراقها.»

فمدت يديها بعجز وهي تقول: «وما الذي تريده إذن؟»

فقال: «هناك سؤال وجهته إلى نفسي منذ اللحظة التي وقعت فيها عيناي عليك في تلك الحديقة.»

إذن، فقد كانت تشكل له تحدياً، تلك التي رحلت بعيداً. كان عليها أن تتذكر أن بامكانه أن يوجه كل جهوده نحو هدف واحد. ولكنها لم تحلم قط بأنه سيركز كل تصميمه عليها.

وفجأة، شعرت بأنها اضعف من أي وقت آخر منذ افترقا، وسألته بلهجة بدا فيها اليأس: «ما الذي تريده مني بالضبط؟»

فأجاب: «أليس ما أريده جلياً واضحاً؟ إنني أريد كانغالوما.»

فهمست قائلة: «منزلي؟»

فأجاب: «إن حصتك هي النصف فقط، وأنا أريد أن اشتري حصتك وحصة اختك لأجعله منزلي الدائم.»

فحملقت فيه ذاهلة، ثم قالت: «كل هذا العمل الذي تقوم به... يبدو أنك كنت تخطط لذلك منذ البداية، أليس كذلك؟»

فأجاب: «من الواضح أن ليس هناك من يدفع مثل هذا المبلغ من المال لاستئجار منزل.»

ولكن أن يخطط ليأخذ منها منزلها كان كثيراً حقاً.

وقالت: «هذا مستحيل، لن أدعك تفعل هذا؟» وكان صوتها وهي تقول ذلك يرتجف انفعالاً.

وأجاب: «لقد فات الأوان، ذلك أنني اذا سحبت تمويلي لاصلاح المنزل فلن يبقى أمامك إلا ان تطرحي المنزل للبيع بالمزاد العلني، فأضع أنا فيه أكبر مبلغ فيصبح لي، أو أن تبيعيه لي بقيمته قبل الاصلاح، أما التوقيت فعائد اليك.»

وأطلقت ضحكة هستيرية وهي تقول: «لا بد أنك تكرهني إلى درجة بالغة.»

فنظر إليها بدهشة حقيقية وقال: «انني لا أكرهك ابداً، يا بيني. فهذا مجرد عرض عملي، وربما أنا أقوم بذلك لأجل مصلحتك.»

فقالت: «كيف تفسر كلامك هذا؟»

فأجاب: «إن هذا المنزل اكبر من أن تستطيع إدارته إمرأة بمفردها تعيش فيه وحدها، عليك أن تكوني اجتماعية بدلاً من أن تمضي إجازتك الأسبوعية تتعاركين مع الأعشاب الضارة النامية بين أزهارك في الحديقة.»

فقالت: «إنك إذن مهتم كثيراً بحياتي العاطفية. أشكرك

على اهتمامك هذا، ولكنني افضل أن أبقى وحدي مع اعشابي الضارة.»

فهز رأسه قائلاً: «إذا أنا سمحت بهذا، فسأسبب لك الضرر. ولكن هناك إمكانية أخرى، بالطبع.»

فسألته: «وما هي؟»

فأجاب: «يمكننا المشاركة في المنزل بصورة دائمة؟»

فتصلب جسدها وهي تقول: «أتعني أن نعيش معاً؟»

فأجاب: «بالضبط، ولن تكوني بحاجة إلى أي شيء بعد ذلك.»

فقالت: «وسيكون لديك دمية تلجأ إليها كلما شعرت بالملل، أليس كذلك؟»

فقال وعيناه تلمعان: «أهذا هو المقابل الذي تقدمينه؟»

فأجابت وهي تختار كلماتها بعناية: «إن المقابل الذي أقدمه إليك هو أن تغرب عن وجهي.»

لم يتحرك، بينما كانت هي تهتز انفعالا وهي تتابع قائلة: «إنني أفضل كثيراً الخيار الأول.»

وقبل أن تدلي بجواب أكثر سخرية، قطع عليهما الحديث انصفاق الباب الخارجي، ثم سوزي تهتف بمرح: «هل يوجد أحد هنا؟» وأجابتها بيني بصوت مرتجف وهي تلقي على ريد نظرة تحذره فيها من أن يشرك سوزي في كل هذه الأمور. ولكنها ما لبثت أن خجلت من نفسها وهي ترى تصرفاته مع سوزي تعبر عن اللطف بذاته. ولم تكن على صواب في ظنها أنه قد يشرك هذه الفتاة الصغيرة في مشاكلهما الخاصة.

وعندما وصلت سوزي إلى غرفة الجلوس، كان هو

واقفاً عند النافذة واضعاً يديه في جيبي بنطلونه ينظر إلى الخليج في الخارج. وكانت بيني بعيدة عنه، تخفي اضطرابها بابتسامة سرور وهي ترحب بابنة اختها قائلة: «مرحباً يا سوزي، هل أمضيت يوماً طيباً في المدرسة؟»

فأجابت الفتاة: «نوعاً ما.» ولمعت عيناها وهي ترى ريد، فهتفت تقول: «مرحبا، إنك مبكر في العودة إلى البيت، هل كنت تلاحظ الاصلاحات؟»

فأجاب: «لقد تناولت الغداء مع خالتك، وفكرت في القدوم لاعطيك بعض الارشادات الموسيقية إذا كنت تحبين.»

فأشرق وجهها وهي تجيب: «هذا رائع، سأحضر الكلارينيت.»

قالت بيني: «سنراك في الكوخ الصيفي فالمكان هنا مشوش.» وأضافت تحدث نفسها بانها، في الهواء الطلق، ستتمكن من التفكير بذهن صاف بعكس ما لو كانت مع ريد في غرفة واحدة، ذلك أنها لن تتخلى عن كانغالوما مهما قال او فعل.

وعندما أصبحا في الخارج، ساد بينها وبين ريد صمت ثقيل. كانت تشعر بوجوده بقربها وكأنه قوة مظلمة أو اعصار لا يعرف الرحمة. هل ستتمكن من النجاح إذا هي دخلت في صراع مع مثل هذه الشخصية الهائلة؟

وبدا عليه وكأنه قرأ افكارها. فقال: «ليس هذا صراعاً. تذكري البديل الذي عرضته عليك.»

فردت بحدة: «وتتذكر أنت جوابي ذاك.»

فقال: «إنه ليس جواباً مقبولاً.»

فقالت بعنف: «إنه لن يتغير طيلة حياتي.»

فلم يزد على أن قال: «سنرى.»

ولحسن الحظ، وافتهما سوزي بسرعة، وما لبثت أن جلست للعمل مع ريد في الكوخ. وكانت بيني قد سبق وأحضرت دفتراً وقلماً بهدف الاجابة عن رسائل ريد في نفس الوقت، ولكن كان من المستحيل عليها أن تركز على عملها وهي تشعر بوجوده على بعد مترين منها. أما هو فقد كان كل اهتمامه موجهاً إلى اداء سوزي، غافلاً عن بيني تماماً، إلى أن رفع بصره فتلاقت نظراتهما.

وأسرعت هي تتظاهر بالتركيز، على عملها، محدثة نفسها، لقد عرف بأنني كنت أراقبه.

كذلك كانت سوزي عاجزة عن التركيز في ادائها، خصوصاً عندما قاطعها ريد عدة مرات بملاحظاته، يدلي بها بصبر: «هنا يجب أن تتدلى بهدوء، كأمواج البحر وهي تلطم صخور الشاطىء برفق.»

ولم تستطع أن تحتمل أكثر من ذلك، فوقفت تقول: «سأحضر بعض الشراب المنعش.» ورفضت تبرع سوزي بمساعدتها في ذلك، وهي تقول: «إن عصير الليمون جاهز، ولن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة.»

وتبعتها أنغام الكلارينيت الشجية على طول الممر المؤدي إلى المنزل، والتي أخذت بمشاعرها إلى عالم آخر كادت معه أن تصطدم بشاب، كان قادماً من طريق مختلف، وكان يتدلى من كتفه كيس من جلد أسود.

قال وقد بدت عليه الدهشة لرؤيتها: «قيل لي إنني سأجد هنا ريد براندن؟»

فقالت وقد ظنته مثمن المنزل: «لا بد أنك المثمن. إن السيد

براندن في الكوخ الصيفي في نهاية هذا الممر. عليك أن تتبع الموسيقى فقط.»

فبدا عليه وكأنما منحته هدية وهو يقول: «أشكرك جداً، سأفعل ذلك.» ثم أسرع مهرولاً في الاتجاه الذي أشارت إليه.»

وفكرت وهي تدخل المنزل، بغرابة مظهره، ولكنها لم تعرف شيئاً عن مهنته. ما أسرع ما لبّى استدعاء ريد له حتى وكأنه ألقى ما بيده من عمل ليسرع إليه. وفكرت، مرغمة، في أن ريد هو نموذج مثالي.

ووضعت على الصينية أكواب العصير والكعك الذي كانت صنعته بيدها، ثم خرجت عائدة إلى الكشك.

ومرة أخرى كادت أن تصطدم بذلك الشاب الذي كان عائداً. وكان كيسه الذي في كتفه مفتوحاً وقد برز منه شيء يشبه فوهة البندقية.

وابتسم لها الشاب بدهاء وهو يقول: «شكراً، أيتها السيدة، لقد ساعدتني كثيراً.»

ساعدته كثيراً؟ ومن أي ناحية؟ وسرتها الشكوك وهي تتابع سيرها بالصينية نحو الكوخ، وثبتت شكوكها تلك حالما رأت ملامح ريد المتجهمة، وأخذ منها الصينية ليضعها على الطاولة بعنف اهتزت معه الأكواب، ثم يستدير إليها قائلاً: «لماذا أدخلت ذلك الشخص الكريه إلى هنا؟»

فسألته خائفة: «أليس هو المثمن الذي استدعيته أنت؟»

فأجاب: «كلا بالطبع، وإنما هو مصور فوتوغرافي لمجلة إنسايد.»

فرفعت يدها إلى فمها تهتف ذاهلة: «آه، كلا!»

فقال: «آه، نعم. إنها المجلة التي تنشر القصص المثيرة، ما وراء الستار، عن حياة المشهورين مختلقة الحوادث عنهم.»

وهمست متمتمة: «لم أكن أعرف ذلك.»

فقال مزمجراً: «أرجو أن لا يكون العكس وإلا لكنت لويت عنقك الجميل بنفسي.»

وقال: «إنه أخذ عدة صور قبل أن أطرده خارجاً. فهؤلاء الفتيان يلتقطون الصور ويهربون. ألم تشاهدي آلة التصوير المنحوسة التي كان يحملها؟»

فأجابت: «رأيتها وهو يترك المنزل، فهو كان يخفيها عندما جاء.» وحملقت فيه برهة ثم عادت تقول: «لقد صوركما، أنت وسوزي، معاً. أليس كذلك؟»

ولم تكن سوزي في انفعالها ذاك، لتدرك حجم الكارثة، فقالت لخالتها: «لقد كان ريد يريني كيف أتحسس مواضع أصابعي على الكلارينيت، عندما قفز ذلك الفتى بيننا والتقط لنا صوراً. هل سينشرونها في صحيفة؟»

فأجاب: «هذا ما أخشاه.» وكانت لهجته تنبىء عن إدراكه أن هذه المجلة بالذات لا تنشر أشياء تعجبهم قراءتها. لقد سبق ان لقبوا ريد بالموسيقى العابث، كما أخذت بيني تتذكر، وتصورت استمتاع القراء وهم يرون المجلة تقرنه ببرنامج مرشدين في مدرسة خاصة. وسيتحقق بهذا إنذار تونيا لها.

تونيا...

وغاص قلب بيني. لا بد أن السكرتيرة اتصلت سراً

بالمجلة لتزودهم بهذه المعلومات. ماذا في امكانهم أن يكتبوه عن اشتراك ريد بذلك البرنامج المدرسي؟ ولكن ريد لن يصدقها إذا هي اتهمت توتيا، سكرتيرته التي يثق بها، وذلك دون برهان. وهكذا أبقت بيني شكوكها لنفسها وهي تسأله: «وما الذي ستفعله الآن؟»

فأجاب «يقال إن الهجوم هو أفضل وسائل الدفاع. وأنا أنوي أن أبدأ بالهجوم حالاً.»

فسألته: «كيف؟ ليس بامكانك أن تمنع مجلة مثل إنسايد من نشر ما تريد؟»

فقال: «إنني لست بحاجة إلى أن أفعل ذلك. بامكاني أن أجهز قصة تجعل جهودهم تتوارى في الصفحات الداخلية بدلاً من أن تتصدر الصفحة الأولى.»

فسألته: «ما الذي يدور في ذهنك؟»

فأجاب: «اعلان نبأ خطبتنا.»

فشعرت وكأنما تلقت لطمة على وجهها، وهتفت: «ماذا؟»

وكانت سوزي بجانبها، فقالت بانفعال: «هل ستعقدان خطبتكما انتما الاثنان؟ ما أجمل هذا.»

فالتفتت بيني إليها قائلة: «سوزي، لماذا لا تعيدين هذه الصينية وأشياءك، إلى المنزل، إنني وريد بحاجة إلى تبادل بعض الحديث معاً.»

فوافقت سوزي مكرهة، وما أن اصبحا بمفردهما حتى استدارت بيني إلى ريد قائلة بعنف: «لا بد أنك جننت، إنني لن أتزوجك. انني لن اخطب لك. إنني أكرهك، هل هذا مفهوم؟»

فأجاب: «البديل لهذا هو التشهير في الصحف السيئة،

ولكنني أنبهك إلى أن ذلك لن يكون ممتعاً. إنني لا اهتم البتة بما قد يكتبونه عني، فلطالما وجدوا في شخصي مجالاً لموضوعاتهم على مر الزمن، ولكن ليس من المناسب اشراك مدرسة سوزي في هذا التشهير، ما قد يشكل خطراً على برنامج المرشدين كلياً. فهل هذا ما تريدينه أن يحدث؟»

فقالت: «كلا بالطبع.» وفكرت في أن ما يحدث لها لا يستحق اهتماماً منه. ولكن هل يمكن أن تسبب الألم لابنة أختها بينما بامكانها أن تجنبها ذلك؟ وماذا لو ذكرت عناوين الصحف في الصفحات الأولى بأن مشروع برنامج المرشدين قد أغلق؟ وسألته: «هل أنت متأكد من أن هذا هو الحل؟»

فأجاب: «إذا كنت أنا في طريقي لأن أصبح رجلاً متزوجاً محترماً، فلن يكون لدي مجال للفضائح، أليس كذلك؟ إننا سنقطع عليهم الطريق وذلك باشهار خطبتنا بشكل جيد، ومن ثم ننقذ برنامج المرشدين.»

هل لديها خيار آخر؟ قالت: «حسناً، لقد قبلت بذلك، ولكن لأجل سوزي فقط، فانا أعرف كم يعني لها هذا البرنامج.»

فقال بجفاء: «وماذا غير ذلك يجعلك توافقين على عقد خطبتك لرجل تكرهينه؟» وما لبث أن تحول إلى رجل عملي، فتابع: «علي أن أتصرف بسرعة. إن مجلة إنسايد تصدر يوم الجمعة، وهذا اليوم هو الثلاثاء، وهكذا سأدعو إلى مؤتمر صحافي وأعلن نبأ خطبتنا غداً صباحاً حيث ستذيعها وسائل الاعلام المسائية وصحف الخميس

الصباحية، ويوم الجمعة ستبدو مجلة إنسايد مثل آخر حصان في السباق.»

وشعرت برأسها يدور، كيف بإمكانه أن يتصرف في مسألة كهذه بكل هذا الحزم؟ أما هي، فحتى لو كان الأمر مجرد لعبة كي يمر التهديد بالفضيحة بسلام، فانه سيبقى عليها أن تحتمل محنة شيوع نبأ الخطوبة هذه بين الناس.

ذلك أنها ستبقى، بعد ذلك، إلى الأبد معروفة بالمرأة التي كانت يوماً خطيبة لريد برندان، وهو موضوع سيعرضها لحسد النساء أثناء الخطوبة، ثم للشفقة بعد افتراقهما.

ذات يوم، كانت فكرة أن تكون خطيبة ريد الحلم بعينه. ولكنها الآن لا تعرف حقيقة شعورها بالضبط. كان الخوف موجوداً بالتأكيد، ولكن كان هناك شيء آخر، شيء أشبه بالاثارة يدور في اعماقها متحدياً أي تفسير معقول.

لم يعجبها أن تعتبر إعلامياً عروسه المقبلة. ولم يكن في نيتها اعطاء هذه الخطوة أية أبعاد أخرى دونما ضرورة. لا بأس، إن جزءاً من كيانها يتقبل هذا التحدي بشوق. فهل هذا ما يسمونه بالجنون الموقت؟

وما أن أقبل الصباح التالي، حتى كانت قد تأكدت من أنها سقطت ضحية، وهي تفكر في المؤتمر الصحافي الذي دعا إليه ريد، ومنعها التوتر من أن تتناول شيئاً من الطعام.

قال لها ناصحاً: «سيتحسن شعورك إذا أنت أكلت شيئاً، خذيها نصيحة من رجل خبير في الاستعراضات.»

فهزت رأسها تجيبه: «لا استطيع، أليس ثمة طريقة يمر بها هذا الأمر من دون وجودي؟»

فأجاب ببرود: «إن عرساً من دون عروس، لا يبدو كاملاً تماماً.»

فنظرت إليه بذعر قائلة: «ومن قال شيئاً عن العرس والعروس؟»

فرفع حاجبيه ساخراً وهو يقول: «ألا يتبع هذا، عادة، الخطبة؟»

فقالت: «ليس هذه المرة.»

فقال برقة وهو ينهض واقفاً: «إذن، ليس هناك شيء يوجب قلقك، أليس كذلك؟»

وفكرت، مذعورة، بأنه يسمي هذا شيئاً، وكانت في هذه الاثناء، تستعد لدخول القاعة التي جهزت لاقامة المؤتمر الصحافي. بعد ذلك بوقت قصير أخذت تسوي ثيابها المكونة من كنزة مزركشة بالدانتيل فوق تنورة مناسبة، وكانت القطعتان بلون الشمام الأصفر، مما أسبغ على قوامها الجميل أناقة دون أن تكون لافتة للنظر بشكل مبالغ. أو بالأحرى هذا ما أقنعتها به صاحبة المتجر أثناء الوقت الضيق الذي كان عليها أن تشتري فيه ما يصلح لهذه المناسبة. وكان ريد قد عرض عليها أن يدفع ثمن ذلك من جيبه، ولكنها عبست لفكرة شرائه ملابس لها. ذلك أن خطوبتهما ليست حقيقية بحيث تسمح بمثل هذه المعاملة الحميمة.

وشعرت بالسرور وهي ترى الجمع الغفير الذي كان بانتظارهما في قاعة المؤتمر، فقد كان هناك على الأقل، ثلاث كاميرات تلفزيونية. وكانت المنضدة المعدة لجلوسهما إليها تحتشد عليها الميكروفونات وآلات

www.zewily.com

التسجيل، وكان شعورها بأنها تبدو الآن في أبهى طلة، قد دعم ثقتها في نفسها.

وعند وصولهما، تصاعدت همهمات الاهتمام. وانصبت الأنظار عليهما وريد يتجه بها نحو المنضدة وكانت يده تمسك بيدها بثبات، لم تجد معه سوى أن تتابع خطواته وهي تميل نحوه قليلاً، شاعرة بالضعف وكأنه يقودها إلى المشنقة، ولكن، أليس الأمر بالنسبة لها كذلك؟

أمسك بيدها، وهما يجلسان ليضغط عليها مشجعاً مما أثار دهشتها، ثم تركها وانحنى مقترباً من الميكروفونات يرحب بالحاضرين. وكان من الهدوء والثقة بالنفس ما أثار حسدها. كان بالطبع، معتاداً على الظهور أمام الجماهير. ولكن الخبرة وحدها ما كانت لتضع كل هذا الدفء والصدق والعفوية في لهجته.

وشعرت، لهذه الأفكار، بالرغبة في الابتسام ما خفف من توترها قليلاً. فقد بدت وكأنها مزهوة حقاً به وأن الأمر كله لم يكن مجرد تمثيل، ولكنها يجب أن لا تنسى مبلغ كرهها له وغضبها من المأزق الحالي الذي كان سببه وجوده في منزلها.

وعندما أرغمت نفسها على الانتباه إلى حديثه كان هو يقول: «لقد عدت إلى استراليا للقيام بأمرين اثنين، الأول هو تأسيس مركز دائم لقيادة أعمالي في نورث سيدني ويمكنكم أن تروا النتيجة حولكم. أما الثاني...» وسكت برهة بشكل مسرحي مؤثر، ثم تابع يقول: «فهو أن أطلب من بيني سوليفان أن تتزوجني. وأمس شرفتني بقبولها ذلك.»

وهبت الضوضاء والجلبة عند ذاك، كما كان منتظراً

وابتدأ الصحافيون ينهالون عليهما بالأسئلة: «منذ متى تعرف الآنسة سوليفان؟»

«أصحيح أنكما كنتما معاً قبل أن تسافر أنت إلى ما وراء البحار؟»

«لماذا انتظرت كل هذا الوقت الطويل قبل أن تعود إليها لتطلب منها الزواج؟»

أجاب عن الأسئلة جميعها بعفوية وبساطة، متمهلاً عند السؤال الأخير وهو يجيب عليه قائلاً: «إن أفضل الأشياء في الحياة هي التي تستحق الانتظار لها. لقد كان علي أن أبني نفسي في الموسيقى ودنيا الأعمال، وكان على بيني أن تتابع مهنتها الكتابية. ولم ندرك إلا بعد عودتي أننا يجب أن لا ننتظر أكثر من ذلك، أليس كذلك يا حبيبتي؟»

وتوهج وجهها لنظرة الحب التي وجهها إليها وهو يدعوها بكلمة حبيبتي التي اعتادتها منه في الأيام السالفة. وتفجرت أضواء الكاميرات في أنحاء الغرفة تسجل احمرار الخجل على وجه العروس وهي تجيب بكلمات منتقاة: «هذا صحيح. لم نشأ أن ننتظر، عندما اجتمعت بـريد مرة أخرى شعرت وكأننا لم نفترق قط.»

وكانت تحدث نفسها، وهي تقول ذلك، بأنها إنما تعني بهذه الكلمات معنى مختلفاً وهو الكراهية وليس الحب.

وجاء سؤال آخر: «ما الذي أعاد كلاً منكما إلى الآخر؟»

فأجابت: «حسناً، إننا...»

فقاطعها برقة وهو يشعر بخوفها: «انها رسالة وردت من سيدة صغيرة السن ستكون قريبتي في أقرب وقت، وهي إبنة أختها سوزان كيمبر وهي موسيقية صغيرة موهوبة طلبت

مني أن أكون مرشدها الموسيقي و ذلك دون أن تعلم أنه سبق وكان لي علاقة وثيقة مع خالتها... وهي علاقة الحب.»

وامتلأت أحاسيسها بذكريات حبها إلى أن تذكرت نفسها أخيراً بأن كلامه هذا ما هو إلا للاعلام فقط، وبذلت جهداً بالغاً في دفع نفسها إلى رسم ابتسامة حب على شفتيها وهي تنظر إليه موافقة على قوله، ولكن كل شيء أمامها أصبح غائماً مهتزاً وعيناها مغرورقتين بالدمع، لتسمع صوت ريد وهو يشكر ممثلي الاعلام لحضورهم. وبدا عليه انه لم ينتبه إلى مشاعرها هذه وثورتها على نفسها لسماحها له بالتحايل على مشاعرها، معلناً على رؤوس الاشهاد زعمه بانها أصبحت ملكه.

ولكن هذا كان ما سبق واتفقا عليه، إنما ذلك لم يوقف الإذلال الذي تشعر به في اعماقها. لِمَ لا يمكنها أن تفعل مثله فتقوم بهذا العرض دون أن تتأثر بهذا الشكل؟ لقد كانت هذه هي البداية فقط، ومازالت طريق التمثيل طويلة أمامها.

إرتسمت على شفتي ريد ابتسامة رضى وهو يقرأ العناوين الرئيسية. لقد نجح الأمر، فقد ملأت صورته مع بيني الصحف كما توقعا بالضبط. وحاولت تلك المجلة أن تربط بين ذلك الموسيقي العابث كما اعتادوا تسميته وبين مدرسة الموسيقى تلك، ولكن السيل المنهمر من اهتمامات وسائل الاعلام بخطبته لبيني قد غطى على هذا حتى لم يكد يلحظه أحد.

وكانت بعض الصحف على وشك الانقضاض على أول علامات الفضيحة لولا أنها أعادت طبع الموضوع ونشر

الصورة بشكل جديد كلياً، جاعلة من سوزي القوة وراء هذا الحب.

وأي تأثير سيىء للصورة الأصلية، محاه ذلك الانفعال والاثارة التي سادت المدرسة لدورها ذاك كوسيط زواج لريد برندان. ولو لم تكن هناك خطبة لكانت الأمور جداً مختلفة، وهكذا كان ريد على صواب في تفكيره إلى حد بعيد.

أما هو، فقد كان من الصعب أن يرى نفسه رجلاً خاطباً ذلك أن بيني لم تكن تتصرف كخطيبة مشغوفة حباً بخطيبها، إلا عندما يكونان معاً بين الناس، عند ذاك لا يجد عيباً في ما تبديه نحوه، رغم أنه كان بامكان من يقترب منها إلى حد يمكنه فيه أن يرى عينيها، كان لا بد أن تعتريه بعض الشكوك. كانت مازالت تنظر إليه، وكأنها تكرهه.

وكان هو يفكر على الدوام في مبلغ غموض النساء، فهي تكاد تذوب عندما تكون معه حتى انه كان يسمع دقات قلبها.

ولكنه كان يعترف بينه وبين نفسه، بانه لم يكن منيعاً أمامها، فقد أشعلت النار في كيانه بشكل لم تفعله امرأة أخرى من قبل، بالرغم من الشكوك التي مازالت تساوره نحوها. ربما من الأفضل أن يتابع سيره قدماً، ويتزوجها، ومن ثم يدرس الأمور فيما بعد.

هدأت أصابعه على مفاتيح الكلارينيت، وتلاشت الأنغام التي كان يعزفها، مع نسيم الصباح. وكان كغيره من الموسيقيين، يلزم نفسه بالتمرين كل صباح، سواء كان ذلك الصباح ماطراً أم مشمساً، غائماً أم مشرقاً، أو حتى صبيحة الأعياد، وكان عادة يقوم بتمريناته تلك بتركيز كان

www.rewily.com
qeqe86

يحسده عليه زملاؤه، ولكن تفكيره الآن في بيني كان يحدث في أنغامه نشازاً على غير العادة.

لقد كان العيش معها ومع سوزي في كانغالوما، يشعره بدفء الحياة العائلية الحقيقية. استيقاظه كل صباح على نفس الوجوه، أن يجد من يسأله عن نهاره كيف أمضاه عندما يعود مساء إلى البيت، كل هذا كان يؤكد شعوره.

لقد مضى عليه حين من الزمن كان يتصور مثل هذه الحياة مع بيني إلى أن حدث ما شتت ثقته بها. أترى الوقت فات لاعادة التجربة؟ إنهما قاما بعرض مثير رائع معاً، وقد أثار في نفسها هذه الناحية، ولكنه قد اضطر إلى تحمل العديد من الصدمات قبل أن يدرك أنه مازال أمامه الكثير مما يحسب حسابه.

ولكن، هل في هذا ما يكفي لبناء مستقبل؟

ذلك أن عنادها بالنسبة إلى حادث الاصطدام مازال حجر عثرة بينهما، كما اكتشف، وقد دفعه اقتناعها إلى أنه مازالت هناك أشياء تتعلق بذلك الحادث لا تتذكرها، دفعه إلى التفتيش في ملفات شركة التأمين التي كان مؤمناً عندها على السيارة تلك، ليرى إن كان هناك أي شيء يسند دعواها بأنها لم تكن مخطئة. ولكنه لم يعثر على جديد. وكان عليها هي أن تكون شاكرة له اخفاءه ما يدينها بدلاً من أن تنظر إليه بطريقة من يرى شخصاً ذا رأسين.

ولكن، كل ذلك، لن يجعله يصل إلى شيء، فهي لن تتغير. فلماذا يضيع وقته بالتفكير في ذلك؟

لا بد أن ذلك نتيجة لخيبة الأمل. أما خطبته لها فقد تكون

جيدة بالنسبة إلى صورته الخارجية. ولكنها ستكون بمثابة العذاب بالنسبة لحياته العاطفية.

ورفع الكلارينيت وابتدأ يعزف لحناً لبراهمز، وكانت صعوبة هذه القطعة تستدعي تركيزاً قوياً منه. وكان هذا أفضل ما بإمكانه صنعه حالياً.

www.rewily.com gege86

الفصل السادس

أحدثت خطوبة بيني تأثيراً سيئاً تماماً على حسابها في البنك. وكانت تفكر في ذلك بينما كانت ترتدي ملابسها استعداداً لتناول الغداء مع ريد، ذلك أنه عندما يسمح له جدول أعماله، كان يطلب منها موافاته إلى مكتبه لتناول الغداء سوياً في أحد المطاعم الكثيرة حول منطقة نورث سيدني. وكان ذلك لمجرد المظاهر أمام الناس، كما أخذت هي تفكر، ولكنه كان يتطلب ارتداء ملابس مناسبة أيضاً. وملابسها التي كانت تصلح للعمل داخل منزلها، لم تكن مناسبة أبداً لتناول العشاء في المطاعم العصرية الفخمة.

وكان البنطلون والجاكيت الصوفية اللذان ترتديهما اليوم جديدين كأغلب ملابس الخروج في خزانة ثيابها. وأخذت تتفحص نفسها أمام المرآة، لتعترف بعد ذلك، مكرهة، بأن هناك تحسناً حقاً. فقد بدا شعرها أكثر انتظاماً منذ قصت أطرافه وجعلت عدة خصلات منه تلطّف من منظر جبهتها.

ووضعت قلادة حول عنقها وقد تشوشت أفكارها، إذ ان خطبتها لريد لم تكن تعجبها، ذلك أن الصحف قد أظهرتها وكأنها شيء من مقتنيات ريد، وهذا الأمر لا تستطيع احتماله.

وكانت سوزي قد أكدت لها أنها تبدو رائعة، رغم أن

شهادتها هذه كان يضعفها استغراقها في الاستعداد للامتحان المقبل. فقد كانت ستمضي الليلة في منزل إحدى صديقاتها لكي تقوما بمراجعة دروسهما معاً. ولكنها قالت لخالتها قبل أن تخرج: «إن مسألة الزواج هذه لا بد أنها تلائمك تماماً.»

ولكن بيني هزت رأسها نفياً قائلة لها إنها إنما تتخيل الأمور. على أنها مع هذا، لم تستطع أن تنكر وهي تنظر إلى نفسها في المرآة، انها أصبحت تبدو أصغر سناً، ومليئة بالحيوية أيضاً.

ولكنها ما لبثت أن سألت نفسها عمن يتخيّل الأمور الآن. لا بد أن التحديات اليومية بينها وبين ريد هي التي منحتها كل هذه الحيوية.

ولم يكن ذلك يعني، كما أخذت تحدث نفسها، انها كانت تستمتع بوجوده تحت سقف منزلها. رغم أن جو المنزل كان يمتلىء بالحيوية والنشاط عندما يكون ريد موجوداً.

وأخذت تدرك انها من الممكن ان تقع تحت تأثيره مرة أخرى فوجوده هنا صباحاً ومساء، كان أكثر مما تستطيع احتماله.

كانت تعلم أن صراعها معه بالنسبة إلى إصلاح المنزل ما هو إلا أسلوب دفاعي منها، وتساءلت عما إذا كان يدرك ذلك، إذ ان إغاظته لها كلما ابتدأت في مهاجمته، قد تعني ذلك.

وتسارعت أنفاسها وهي تتذكر كيف أخذ منها برطماناً عاصياً لم تستطع فتحه، ليلويه فاتحاً إياه دون جهد، ثم يعيده إليها بنظرة ساخرة.

www.zewily.com

غير أنها قالت بعناد: «كنت سأفتحه بنفسي.» ولكنها كانت تعلم أن هذا غير صحيح. وانه إذا لمسها ولو مصادفة، أو رمقها بنظرة مودة، فإن كيانها هي أيضاً يتخلخل وكأنها دمية مهلهلة. وتابعت قائلة: «قبل أن تأخذه من يدي، كنت أنا قد فتحته فعلاً.»

فنظر إليها ساخراً وهو يقول: «آه، نعم، ماذا كان يحدث بينك وبين من كان يعيش معك من المحبين؟»

فقالت: «إنهم، على الأقل لم يكونوا يشيعون الفوضى في منزلي لدرجة لا أجد معها مفتاحاً لبرطمان.»

فقال رافضاً الانجرار إلى مناقشة جديدة: «ربما لم يتمكنوا من إضافة نصف هذه الإثارة إلى حياتك.» وشعرت بالغضب. أتراه يستمتع بمثل هذه المخاصمات؟ ألا يرى ما يسببه لها هذا من توتر وانفعال؟ وتذكرت الحب الذي كان بينهما من قبل...

كان ذلك فيما مضى، أما الآن... وتملكتها غصة وهي تتناول حقيبة يدها ومفاتيح السيارة. عليها أن تضبط مشاعرها بأيّ شكل قبل أن تجن أو تكشف عما في نفسها له. ولم تعرف أيهما الأسوأ.

وحياها المراقب في موقف السيارات هذه المرة وهي توقف سيارتها في المكان المحجوز لسيارات ريد. وكانت تحدث نفسها، وهي تستقل المصعد، بما يمكن أن يحدثه وجود خاتم الخطبة في اصبعها، من اختلاف في معاملة الناس لها.

وكان هذا الخاتم مصدراً لنوع آخر من النزاع. فقد كانت ماسة السوليتير أثمن من أن تكون لمجرد العرض، كما

قالت. ولكن إرادته هي التي تغلبت في النهاية. وها هي الآن تلبس هذا الخاتم الثمين أينما توجهت، رغم أنها كانت ما تزال مصممة على إعادته حالما تنتهي هذه المهزلة.

ارتجفت وهي تفكر في المقالة التي صدرت في مجلة انسايد بعد أيام من إعلان خطوبتهما. فقد وجدت المجلة متعة كبرى في شؤون ريد الغرامية في السنوات الأخيرة، مكملة بالصور تقارنها بآخر صورة له كمرشد لسوزي. وكان القصد من هذا هو إظهار برنامج المرشدين بشكل فاضح كريه. وكان هذا من السوء والإثم بحيث تعجبت لعدم وجود مادة في القانون تمنع هذا. وكانت سرعة تصرف ريد وحدها هي التي منعت بقية الصحف من الخوض في هذا الموضوع بعد أن حازت قصة خطوبتهما غير المتوقعة كل الاهتمام.

وأخذت بيني تعبث بالخاتم في اصبعها وهي تفكر في أهمية برنامج المرشدين بالنسبة إلى سوزي وغيرها من الأحداث الموهوبين، وهذا ما يجعل تضحية بيني ذات فائدة بالنسبة إليهم. وليس عليها إلا أن تتذكر ذلك مهما كان هذا الأمر شاقاً. إذ ان شعورها بالتعاسة لرؤية صور ريد مع تلك النسوة لن يجديها شيئاً.

وعندما دخلت بيني، كانت تونيا ريغ في مكتبها. وكانت قد اعتادت منذ إعلان الخطبة، أن تشغل نفسها خارج مكتبها كلما حضرت بيني.

لوت تونيا رأسها وهي تقول: «إن لدى ريد اجتماعاً.»

ولكن بيني أومأت برأسها قائلة: «لقد أخبرني أن هذا الاجتماع قد يجاوز قليلاً موعد غدائنا، ولكنني لا أمانع في الانتظار. لقد وعدني بألا يتأخر.»

فقالت تونيا: «هذه هي عادة ريد في وعوده وارتباطاته القصيرة الأمد.» وكانت تضمّن كلامها هذا معنى آخر فهمته بيني.

كان من الممكن أن يخيف تصرف تونيا هذا بيني منذ خمس سنوات، ولكن عملها وراء البحار وإعالتها لنفسها منذ وفاة والدها، قد غيّرها، فقالت تجيبها بخشونة: «أفهم من هذا أن خطوبتنا لا تعجبك.»

فأجابت تونيا: «ما دمت تسألين، فإن ما تقولانه للناس لا يعجبني. ولكنني لو كنت مكانك لما دعوت هذه خطوبة.»

واحتبست أنفاس بيني. لقد كانت تكره المواجهات وتحاول تجنبها قدر استطاعتها ولكنها لابد أن تجيب على هذا، فقالت: «وما الذي يدعوك للظن بأن خطبتنا هذه زائفة؟»

فنظرت إليها بعينيها الخضراوين اللتين يتجلى الحقد فيهما وهي تجيب: «كون ريد ما زال على علاقة شخصية معي.»

واخترق ألم حاد أعماق بيني، ولكنها قاومت هذا الاحساس باستغراب. ذلك أنها وريد لم يتبادلا أيّ وعود غير ظهورهما في المجتمع معاً كخطيبين، فلماذا ينتابها هذا الشعور المؤلم لدى سماعها قول تونيا هذا لها؟

ولكن بيني لمحت شيئاً في ملامح تونيا ما شعرت معه بأنها تكذب، فقالت تجيبها: «أحقاً؟ إنني لم أحسب لك حساباً في مخيلتي من قبل يا تونيا، ولكن اختراع مثل هذه التصورات يتطلب مهارة خارقة.»

وأثبت عنف قبضتي تونيا على حافة مكتبها شكوك

بيني، ولكن ملامح هذه المرأة بقيت جامدة وهي تقول: «يبدو أنك واثقة من أن كلامي هو مجرد تخيّلات، فهل أنا أتخيّل أيضاً وجود شامة في خاصرته؟»

وجعلت الصدمة بيني تشعر بالدوار، وترنحت في مجلسها قليلاً وقد تمنت لو أنها لم تبدأ هذا النقاش. ولكن الأوان فات الآن، وهكذا أجابتها قائلة: «إنني لم أقل انك لست على علاقة شخصية معه قط، ولكنني واثقة من أن ذلك لم يحدث منذ عرض عليّ الزواج، ذلك أن ريد رجل قويّ مكتمل الرجولة. وقد بقينا مفترقين مدة خمس سنوات لا أظنه أمضاها منطوياً على نفسه.»

وكلفها هذا القول الذي تعلم أنه حقيقة، أكثر مما كانت تظن، إذ اخترقت هذه الكلمات أعماقها كالسكين. ولكنها وضعت اللوم على هذه المواجهة غير السارة لأنها تلبس خاتم ريد فقط، وإلا فلماذا تهتم به وبما يفعل وبمن يعاشر؟

ولكن تونيا أصرّت على القول: «ولكنه لن يتزوجك لأنه سيتزوجني أنا.»

فقالت بيني بحدة: «لو كان ينوي الزواج منك، لماذا لم يتقدم لك حتى الآن؟ لماذا تضيعين حياتك في انتظار شيء لن يحدث؟» ومالت نحو مكتب تونيا وهي تتابع قائلة: «أنا وأنت نعلم أنك أنت التي أرسلت مصور تلك الصحيفة السيئة السمعة إلى منزلي، آملة أن تجبر الصحافة السيئة ريد على ترك المنزل. ولكن خطتك لم تنجح، أليس كذلك؟ كان عليك أن تدركي أكثر من غيرك أن ليس بإمكانك إرغامه على القيام بشيء لا يريده. بما في ذلك وضع خاتم الخطبة في اصبعي. لقد وضعه لأنه كان يريد ذلك، وهو سيبقى في

www.zenily.com gege86

اصبعي طالما هو يريد ذلك.» على الأقل كانت كلماتها الأخيرة هذه تحوي الحقيقة.

وجعلها الانفعال ترتجف، ولكنها لم تندم على كلمة مما قالت، رغم أن شيئاً من الذهول بدا على تونيا التي ما لبثت أن قالت بابتسامة متوترة: «لقد اكتشفت الخطة إذن. هذا مؤسف، فقد ظننت أنها ستنجح.»

ولم يبعث تحقق ظنها هذا الارتياح إلى نفسها كما كانت تتوقع. لقد أوهن منها القوى حقد هذه المرأة وسوء نيتها نحوها، فقد كانت تعلم أن فعلتها هذه لن تضرّ ريد شيئاً، وهكذا قررت أن توجّه الضربة إلى بيني من خلال ابنة أختها.

ومن الواضح أن تونيا لم تتوقع بأن ريد قد يحل المشكلة بعرض الخطوبة على بيني، وهكذا عاد كيدها إلى نحرها كما يقال، ومنحت هذه الفكرة بيني القوة لأن تقول: «بما انك علمت الآن بأن الخطة لم تنجح، ربما بإمكاننا أن ننسى هذه المنافسة السخيفة.»

وبحركة مقصودة، أخذت تونيا تنظم الملفات فوق مكتبها وهي تقول: «هل هي سخيفة حقاً؟ سنرى كم سيرى ريد الأمر سخيفاً عندما يجد استقالتي على مكتبه بعد الظهر، بمفعولها السريع، خصوصاً عندما أوضح له انك أنت المسؤولة عن ذلك.»

فهتفت بها وهي لا تدري ما الذي أثار حنقها: «وما الذي يدفعك إلى الاستقالة، يا تونيا؟»

فزمّت هذه فمها وهي تجيبها قائلة: «يجب ان استقيل فهذا هو الحل الأفضل. لأن الأمور أصبحت غير طبيعية

حالياً، وكم أتمنى لو بإمكاني أن أرى ما سيفعله ريد وأنت تحاولين أن توضحي له سبب عدم وجودي عندما يحتاجني.»

ولم تكن بيني تقصد أن يحدث هذا الأمر وداخلها ذعر شديد من أن تكون تونيا صادقة في تقييمها لردة فعل ريد تجاه استقالتها وسألتها: «ماذا ستفعلين إذا أنت تركت هذا المكان؟»

فأجابت: «إنني لست من دون مورد. وسأتدبر اشغال نفسي إلى أن يتصل بي ريد. وأنا متأكدة من أنه سيفعل، فقد سرنا معاً شوطاً طويلاً.» وخرجت من المكتب تاركة بيني تحدق في أثرها وهي ترتجف. هل من الممكن أن تكون تونيا صادقة في كلامها؟

وكانت ردة فعل ريد مخيفة بعد أن أخبرته بما حدث، وسألها ثائراً: «بماذا أغضبتها؟»

وعقدت ذراعيها على صدرها بشكل دفاعي وقد غمرها الاضطراب لهذا العنف الذي لمسته منه. أتراه سيغضب بهذا الشكل لو أن الحال كان معكوساً وكانت هي التي تركته وليس تونيا؟ وقالت: «وما الذي كان عليّ أن أفعل؟ أن أبتسم لها بحلاوة وهي تخبرني أنك ما زلت على علاقة ودية معها؟»

فشملها بنظرة ساخرة وهو يسألها قائلاً: «ما هو الذي ضايقك أكثر... سلوك تونيا، أم ما أخبرتك به؟»

فأجابت متظاهرة بعدم المبالاة: «وما الذي يجعلني أشعر بالضيق من أيّ من هذين الأمرين؟»

فأجاب: «لأن المفروض أنك خطيبتي.»

فازدردت ريقها وهي تتمنى لو أنها تركت باب المكتب مفتوحاً عندما دخلت إليه بعد الاجتماع. كان الجناح رائعاً بجداريه الزجاجيين اللذين يطلان على مرفأ سيدني، ولكن وجودها معه بمفردهما أشعرها بالارتباك، وقالت: «اننا، نحن الاثنين، نعلم أن هذه الخطوبة ما هي إلا قصة خيالية لا تعني شيئاً.»

فجلس على زاوية مكتبه عاقداً ذراعيه فوق صدره فبدا عملاقاً قوياً لا يمت بصلة إلى رقة ورهافة الموسيقيين. ثم قال: «إنني غير ملتزم تجاهك بأي إيضاح لسلوكي الخاص، ولكنني، إذا كان هذا يرضيك، لم اقترب من تونيا منذ أعلنا خطوبتنا ورغم ما قد تظنينه بي، فإن عندي مبادئي وقيمي.»

ورغم تاكيدها الشجاع لتونيا بأن هذا الأمر لا يهمها فإن بيني لم تكن متأكدة من حقيقة شعورها، ذلك أن شعوراً بالغاً من الارتياح قد غمرها. ولم يكن لهذا الشعور ما يبرره في نظرها، إذ انها ما كان لها أن تهتم بما يفعله.

ولجأت إلى إظهار الغضب لاخفاء مشاعرها، فقالت: «وهل من المفروض أن أكون مسرورة بما تقول؟ فأنا نفسي لم أقم علاقة مع أحد، فنحن إذن متساويان في هذا الأمر.»

فنظر إليها بعنف، ثم نزل عن المكتب وتوجه نحوها ليضع يده على كتفها بخفة وهو يقول: «ها أنت تنطقين، أخيراً، بشيء من الصدق. فأنت غاضبة لأنك تشعرين بأنني أهملك.»

فزاد قوله هذا من غضبها، وقالت: «أتعني بكلمتك أنني مازلت أحبك؟ لا بد أنك مجنون؟»

فأخذ يحدق فيها من تحت جفنيه بنظرة لا نهاية لها، ثم قال: «لست كذلك إلى حد الحزن، خصوصاً إذا اعتبرنا ما كان بيننا.»

وأدارت الذكريات رأسها، فأغمضت عينيها ثم حبست أنفاسها عندما أحست به يتأملها، ولكنه فجأة، ابتعد عنها بقسوة وبدلاً من أن تشعر بالارتياح لذلك، انتابها مثل شعور الطفل الذي يلوحون له بلعبة، ليعودوا فيختطفونها منه.

وزادت تسليته الواضحة بها، من مشاعر الاضطراب في نفسها. فقد كان المفروض أن تكرهه، فلماذا جعل كلامه قلبها ينتفض حتى كاد أن يقفز من مكانه؟

وقالت مستنكرة بشجاعة: «إنك مخطىء، فانا أفضل الموت على أن أسمح لك بشيء.»

فقال متهكماً: «لماذا ردة الفعل المتطرفة هذه إزاء *الإغواء المشترك، يا بيني؟ إنك تستنكرين هذا الأمر الآن*، ولكنك منذ لحظات كنت على استعداد تماماً لأن تعيدي بعض ذكرياتنا الرائعة معاً.»

وكانت في داخلها ترتجف من قوة المشاعر التى أيقظها في نفسها، أحاسيس بلغت من قوتها بحيث لم تصدق أنها تسببت من مجرد همسة منه. وردت عليه بسرعة، محاولة أن لا تجعله يشعر بما أحدثه فيها من تأثير، ردت قائلة: «هذا في أحلامك فقط.»

فقال دون اهتمام: «في أحلامي وفي أحلامك أنت أيضاً. ألا يصيبك الأرق وأنت تفكرين في ما كان بيننا ذات يوم؟ فتتصورين كيف كان ذلك؟ وكيف من الممكن أن يعود؟»

أجابته كاذبة: «كلا. لم يحدث لي ذلك.» وإن كانت

اعترفت بينها وبين نفسها، أنها طالما أمضت الليالي تحن إلى ما مضى بينهما متمنية لو يعود. وطالما هو ما زال يبادلها نفس الشعور، فإن عودة الماضي قد أصبحت الآن خارجة عن الموضوع.

فقال وقد لمعت عيناه تحدياً: «سوف أجعلك تعترفين بأن كلامك هذا غير صحيح. ولكنني لن أفعل ذلك الآن فأنا أفضل أن تتراجعي أنت من تلقاء نفسك.»

وتساءلت عما يدعوه إلى هذا العمل ما دام كل ما يهمه هو المظهر الخارجي لعلاقتهما.

وقالت تجيبه: «إنك ستنتظر طويلاً.»

فابتسم متهكماً وهو يقول: «سنرى. وربما يغيّر الغداء مزاجك ويجعلك أكثر تجاوباً.»

فألقت عليه نظرة غضب وهي تجيبه: «إن جعلي أكثر تجاوباً يأخذ وقتاً أطول من مجرد غداء.»

فضغط بيده على مرفقها وهو يدفعها نحو الباب قائلاً: «أهو تحدٍّ آخر، يا بيني؟ ما الذي حدث لك اليوم؟»

وحاولت أن تقنع نفسها بأن مزاجها المتقلب هذا لا علاقة له بمكائد تونيا، وبما قالته عن رؤيتها لتلك الشامة على خاصرته.

وتناولا الغداء في جوّ متوتر لم يشفع له نظرات الاهتمام التي انصبت عليهما من بقية الموجودين في المطعم. وكان من المفروض أن تكون اعتادت على شهرة ريد الآن، ولكنها ما زالت تشعر بالضيق من أن تكون مستقراً لكل هذه الأعين.

قال لها وهو يتناول طعامه بشهية بالغة: «تجاهلي ذلك، فهم سيتعبون في النهاية، من مراقبتنا.»

فقالت وهي لا تكاد تبتلع طعامها: «ألا يضايقك أن تكون محط الأنظار أينما ذهبت؟»

فهز كتفيه يجيبها: «إن ذلك لا يضايقني، لأن إعجابهم هذا هو الذي أوصلني إلى ما أنا عليه حالياً.»

ولم تكن هي قد وضعت هذا في حسابها. وحاولت أن تعمل بنصيحته وتتجاهل تلك النظرات وهي تقول: «إنني، في الواقع، آسفة لما حدث بالنسبة إلى تونيا اليوم. فأنا لم أكن أنوي دفعها إلى الاستقالة.»

فرفع حاجبيه يجيبها: «كلنا نعرف إلى أين تؤدي النوايا الطيبة أحياناً، ويبقى الواقع، وهو أن هذا حدث في وقت أنا متضايق فيه تماماً.»

وشعرت بسرور عندما أدركت بأنه ليس على علاقة حميمة بتونيا، ولكنها منعت نفسها من الاسترسال في مثل هذه المشاعر نحوه، إذ ليس ثمة حاجة بها إلى تمثيل دور الخطيبة الغيور إلى النهاية.

وكان هو يتابع قائلاً: «إن شركتنا هي الراعية الرئيسية لجوائز استراليا في الانتاج الموسيقي. وكانت تونيا هي التي تتولّى أمر علاقتنا من هذه الناحية.»

فقالت: «ولكنني لم ألاحظ لدى مكاتبكم تقصيراً في عدد الموظفين.» وكان في صوتها غضب أكثر مما كانت تنوي إظهاره.

فألقى عليها نظرة متفحصة تعني أنه أكثر وعياً لتطور أفكارها نحوه، مما تريده هي أن يكون. وقال يجيبها: «إن مساعدي تونيا يمكنهم سدّ الثغرات في المسؤوليات العامة، ولكن لتونيا مسؤوليات أخرى.»

www.rewily.com
geqe86

ولكنها عادت تقول: «لا بد أن بإمكان أحد مساعديها أن يملأ هذا الفراغ.»

فأخذ يعبث بشوكته وهو يمعن النظر فيها بشدة، قائلاً: «هناك حل آخر. وهو أنه ما دمت أنت التي تسببت بهذه المشكلة، فإن عليك أن تأخذي مكان تونيا إلى أن تنتهي حفلة تسليم جوائز الموسيقى.»

وكانت هي تكره الظهور في المجتمعات بجانبه، فقالت: «لا أستطيع.»

فقال بجدية بالغة: «بل تستطيعين وستقومين بذلك، لقد كانت تونيا يدي اليمنى في المناسبات الموسيقية. وأنت قد لمست تجاوب وسائل الإعلام بالنسبة إلى خطوبتنا. فهل بإمكانك تصور ما ستفسره تلك الوسائل إذا أنا ظهرت في الاحتفال وبجانبي امرأة غريبة؟»

فقالت: «ولماذا لا تستأجر رجلاً بدلاً من امرأة؟» ولم تكن تريد، بهذا القول، أن تعترف لنفسها بكراهيتها لفكرة وجود امرأة غريبة تمسك بذراعه.

وبدا في عينيه الهزل وهو يجيبها قائلاً: «إن حضوري الاحتفال وبجانبي رجل سيسبب حساسيات أكبر.»

فقالت: «إنك تعلم أن هذا ليس ما قصدته، أعني ألا يمكنك استئجار رجل لشؤون مكتبك. ثم تحضر الاحتفال وحدك؟»

فقال: «ليس المكتب هو المشكلة. فإن بإمكان الموظفين عندي تولي الناحية الإدارية. ولكننا، إذا نحن وضعنا الصحافة جانباً فسنكون بحاجة إلى من يرعى سوزي.»

فلم تفهم، وقالت تسأله: «وما شأن سوزي بهذا كله؟»

فأجاب: «إن من مميزات جوائز هذه السنة أنها عروض متسلسلة لمواهب النجوم الفتية الصاعدة. وسوزي تستحق أن تمنح فرصة لتكون واحدة منهم.»

وأدارت رأسها. إذن فإن سوزي ستقف على المسرح أمام الصفوة من المنتجين الموسيقيين، وسيصورها التلفزيون. من يعرف ماذا سيحدث نتيجة لهذا؟ وسألته بارتياب: «أظنك خططت لهذا لكي تجعلني أتعاون معك، أليس كذلك؟»

فأجاب: «لقد خططت لهذا لأن سوزي تملك موهبة تستحق الاعتبار.»

فقالت: «حسناً، سأقوم بما تريده مني إنما لأجل مصلحة سوزي، ولكن كل هذا ينتهي حال عودة شقيقتي وعودة سوزي إلى بيتها. ولا يمكن أن تطلب مني شيئاً بعد هذا.»

فقال وعيناه تلمعان بالتحدي: «يمكنني أن أطلب منك أكثر من هذا، يا عزيزتي بيني، ولكن ليس أكثر مما اعتقد أن بإمكانك منحه.»

فقالت: «حسناً، ما دامت مطالبك تقف عند حد المكتب.»

وكان جوابه أن رفع حاجبيه متهكماً وهو يقول: «ما دام مكتبي يقوم مقام المنزل، فلا ضرورة إذن لاعتباره حداً.»

فازدردت ريقها، وكان لتذكرها ما سبق وكان بينهما من قبل، فعل مدمر على توازنها النفسي، وساورها شعور بأنه يعلم ذلك. كان يعزف على أعصابها المتوترة بنفس المهارة التي يعزف بها على الكلارينيت. وتنفست بصعوبة وهي تقول: «هل لك أن تكف عن هذا؟ إنني لن أتعاون معك إذا أنت لم تعدني بمعاملة محترمة.»

www.zewily.com

فمدّ يده يمسك بيدها برفق إنما بعناد، وهو يقول: «آه، ولكنني سأحترمك، أؤكد لك ذلك.»

فقالت: «ولماذا أنت...» وحاولت أن تجذب يدها من يده، ولكن قبضته كانت كالفولاذ، وشعرت بوجهها يتوهج احمراراً وارتسمت حينذاك على شفتيه ابتسامة باردة وهو يقول: «إذا شئت الصراع فستخسرين. ذلك أنك رغم اعتقادك بأنك تكرهينني، إلا أنك تتصورين مشاعرك فيما لو انسجمنا معاً.»

وكان من صدق كلامه هذا، أن أخذت ترتجف بشكل فاضح لمشاعرها وهي تقول: «إنك غير معقول. لماذا تعاملني بهذا الشكل؟»

فأجاب: «أليس السبب واضحاً؟ إن خطوبتنا قد أيقظت حبنا نحن الاثنين، والذي كنا نظنه قد مات ودفن. وأنت لا تعترفين بهذا لأنك لا تريدين الاعتراف بأن السنوات التي أمضيتها هاربة مني كانت خطأ منك.»

وتملكها الرعب وهي تشعر بالدموع في عينيها. فهي لا تريد أن تشعره دموعها بالرضى. فهذا يكون اعترافاً منها بحقيقة ما يقول. وقالت له وهي ترتجف: «إن ذكرياتي تنحصر في تلك العلاقة أكثر منها في العلاقة العاطفية.»

فقال بلهجة واقعية وكأنه يناقش أحوال العمل: «ومن قال إنني أشير فقط إلى العلاقة العاطفية؟ كنت أفكر في جعل خطوبتنا حقيقية.»

فجف فمها وهي تقول: «لا يمكن أن تعني حقاً الزواج بي؟»

فأجاب: «وهل ذلك مستغرب؟ لقد كنا على وشك ذلك منذ خمس سنوات.»

وكانت هي تتذكر جيداً ما كان. فهي لن تنسى أبداً الاشمئزاز والرعب اللذين ارتسما على ملامحه وهو يرفعها من بين الحطام. لقد بدا عليه أنه يشعر بالاشمئزاز حتى من مجرد لمسها. ومنذ ذلك الحين اختلفت الأمور معهما تماماً.

كان قد انتظر منها أن تعترف بأن الذنب في ذلك الحادث كان ذنبها لقد كانت مرهقة جداً تلك الليلة، ثم لم تستمع إلى نصيحة تونيا في أن لا تقود السيارة إلى الفندق. كان للاعتراف أن يصلح الأمور بينهما، لأنها كانت تعلم أن عنادها هو الذي أغضبه وليس الحادث نفسه. فلماذا وجدت صعوبة في القيام بذلك؟

لأنها، في اعماقها لم تكن تعتقد أنها الملومة، رغم ما يظنه ريد وعدم وجود شهود للحادث، ووجودها وراء عجلة القيادة عندما وجدهما بعد الحادث مباشرة، لم يكن لديها طريقة تثبت بها براءتها. كذلك لم تكن لتتذكر شيئاً في الوقت الذي مضى بين تركها الحفلة، ثم استيقاظها بعد الحادث. ولكنها تتذكر بشكل ما، بأن ثمة شيئاً أكثر من ذلك. لو أن بإمكانها فقط أن تتذكر.

وقالت بهدوء لا تريد أن تظهر ما تشعر به من أمل ضعيف: «أخبرني شيئاً، هل ما زلت تعتقد أنني أنا التي تسببت في ذلك الحادث؟»

وكان صمته هو الجواب.

وعادت تسأله: «لا شيء إذن قد تغيّر؟»

فبان العنف في ملامحه وهو يجيب: «ليس هذا هو الوقت المناسب للنقاش في أمر كهذا.»

فقالت: «متى نتحدث في هذا الأمر مرة أخرى... متى نناقشه لأول مرة، وتذكرني أنت بمبلغ طيشي وعدم شعوري بالمسؤولية اللذين ما زلت أتذكرهما جيداً.»

فتجهم وجهه وساده العبوس. وكانت قد حدثته بصوت منخفض وكذلك تحدث هو إنما بلهجة بدا فيها الغضب: «إنك سخيفة إذ تشعرين بالقلق لشيء لن يحدث أبداً.»

وعادت الدموع إلى عينيها: «أحقاً أنا كذلك؟ لقد ارتكب أبي حماقة، حماقة واحدة فقط أثناء حياته الزوجية. وقد تكرمت أمي بالصفح عنه بشأنها ولكنها واظبت طوال حياتها على أن تذكره بتلك الحماقة. وأنا لا أريد حياة زوجية كهذه.»

فقال: «فهمت.» وأشار إلى النادل بأحضار قائمة الحساب، وأنهى الأمر بعبوس، ثم التفت إليها قائلاً: «هيا بنا.»

فسألته: «إلى أين نحن ذاهبان؟»

أجاب: «إلى مكان يمكن أن نتحدث فيه عن هذا الأمر. إن لديّ شيئاً أريدك أن تريه.»

وصحبها إلى الخارج حيث كان خادم خاص ينتظره بالسيارة.

وفي الطريق قالت له: «إنك تخيفني. لِمَ كل هذا؟»

فأجابها عابساً: «لقد حان الوقت لكي تعرفي ماهية شعوري نحو من يقود السيارة باهمال ولا مبالاة. ربما هذا لن يغيّر من الأمر شيئاً. وربما أنك لا تريدين أن تري سوى

وجهة نظرك فقط، ولكننا على كل حال، سيفهم كل منا الآخر بشكل أفضل.»

وساد الصمت بينهما إلى أن وصلا إلى البناية التي تحوي مكتبه حيث اتجه بها، ليس إلى مكتبه بل إلى الروف حيث شقته على السطح. وكان قد أخبرها سابقاً أنه يستقبل فيها زائريه من شركائه في العمل، وكذلك يمضي فيها الليالي التي يتأخر فيها.

وقال لها وهو يشير إليها بالدخول: «هذا أقرب مساكني إلى أن يكون بيتاً حقيقياً، في الوقت الحاضر.»

ولكنه، في الحقيقة لم يكن كذلك، إذ رأته يفتقد مودة ودفء البيت بكثرة الجلد الأسود ومعدن الكروم في صنع أثاثه، رغم أن جمال المناظر التي يشرف عليها كانت تخطف الأنفاس.

ولم يرد عليها وهي تحاول أن تبدأ معه الحديث، بل ضغط أزرار محوّل يدوي فإذا بقسم من الجدار ينزاح جانباً ليظهر جهازا تليفزيون وفيديو أمامهما.

وقال لها: «اجلسي.»

فقالت: «لن أجلس قبل أن تخبرني بما يعني هذا.»

فتابع يفرز أشرطة الفيديو إلى أن وجد ما يريد، فوضعه في الجهاز، ثم اقترب منها. وقبل أن تتحرك أمسك بذراعها ثم جذبها نحوه متجهاً بها نحو أريكة جلدية دون أن يفيد احتجاجها وتلوّيها. إذ سمّرها بجانبه دون أن يهتم بمقاومتها.

وقالت له: «دعني أذهب أيها الفظ المتوحش.»

بدا عليه عدم الاهتمام لاضطرابها، إذ كان مركزاً بصره

على شاشة التلفزيون العريضة وقد بدا العبوس على ملامحه، وكان يضبط الصورة بالضغط بإبهامه على أزرار المحوّل عن بعد، وما لبث أن قال: «والآن، هذا هو السبب في شعوري ذاك.»

وأخذت تنظر إلى الشاشة وقد ساد الرعب ملامحها وتوقفت عن المقاومة بعد أن أدركت ما كان يريدها أن ترى.

كان المنظر عبارة عن قطع من نشرات أخبار تلفزيونية عن حادث سيارة جمعت معاً على نحو بدائي فكانت تقفز من مشهد لآخر. ولكن المحتوى لم يكن ليخطئها الرأي. سيارتان قد اصطدمت إحداهما بالأخرى وتهشمتا بشكل كان يصعب معرفة مكان ابتداء الأولى من انتهاء الثانية. ولم يكن هناك تعليق، بل صورة حية قاسية لمشهدي الموت والدمار.

وشهقت هي بينما انتهت الكاميرا عند مشهد أعضاء فرقة الانقاذ من الشرطة وهم يقطعون الأجسام لاستخلاصها من بين الأنقاض. وقال لها بصوت بارد مخيف: «لقد حذف هذا المنظر من التلفزيون.» وتمنت وقد امتلأ فؤادها هلعاً، لو أنه حذف أيضاً من أمامها فلا تقع عيناها عليه. فقد كان هذا المشهد أكثر مما تستطيع احتماله.

وبعد ذلك، جاء مشهد الشرطة وهم يحققون مع رجل كان يبكي. ولم تعرف هي ما إذا كان بكاؤه هذا نتيجة ندم على ما فعل، أم الصدمة. وكان واضحاً أن هذا الرجل هو السائق المتسبب في الحادث، لأن رجال الشرطة أخذوه معهم في سيارتهم بينما دموعه ما زالت تجري على وجنتيه.

وكان وجهها هي أيضاً مبللاً بالدمع، وريد يقفل التلفزيون وهي تسأله: «يا للهول، ما هذا؟»

فأجابها بهدوء: «إنه مجموعة ما عرض من مشهد حادث الاصطدام الذي قتل فيه والداي. لقد أخذت فيما بعد، أجمع أجزاء المشهد هذا من مكتبة التلفزيون، ومن ثم احتفظت به لكي يذكرني بالشرّ الذي يمكن أن يقترفه الآخرون.»

فحوّلت إليه عينين ملتهبتين وهي تقول: «إذا كنت تعني بقولك هذا، الآخرين الذين مثلي، فلماذا لا تقول هذا صراحة؟»

فقال وعيناه تلمعان: «إذا كانت الظروف هي نفسها...»

فصرخت فيه: «وكيف لي أن أعلم إذا كانت الظروف هي نفسها وأنا لا أتذكر شيئاً؟ إن عرضك لهذا المشهد عليّ يدل على أنك تعتبرني مثل ذلك الرجل الذي تسبب في الحادث. ولكنني أدرك أن الأمر لم يكن كذلك. لا أدري كيف، ولكنني متأكدة من ذلك. وأنا، أحياناً، أحلم بذلك الحادث ولكن الحلم سرعان ما يتلاشى عندما أستيقظ، ولهذا لا أستطيع اثبات ما أعتقد، إنني فقط أعرف ذلك.»

فاسودت ملامحه وقد انتابه غضب شديد، وتقبضت أصابعه وكأنه يريد أن يخنقها بهما وتملكها الخوف ولكنها لم تظهر ذلك، وبقيت منتصبة الظهر.

وقال: «انا متأكد من أنك ما زلت تعتبرين أن الذنب ليس ذنبك. إن هذه هي المشكلة الحقيقية بيننا. ولكن إذا لم تكوني تقودين السيارة في ذلك الحين، فمن كان السائق إذن؟ لقد كانت تونيا مغمى عليها على المقعد بجانبك. ولم يكن ثمة أحد غيركما في السيارة.»

لقد كانت دوماً ترتاب من تونيا ولكنها لم تكن تستطيع مواجهة الشواهد. وقالت له: «هل تأكدت من أنها لم تكن تتصنع الإغماء؟»

فنظر إليها باشمئزاز وهو يقول: «لم تكن عيناها تتحركان، ولم تكن تتجاوب مع أي منبهات يختبر بها عادة، المغمى عليهم.»

فقالت: «حسناً، ربما كان معنا سائق هرب بعد تسببه بالحادث.»

فقال ساخراً: «وربما بقيت السائقة وتركت ذاكرتها تهرب.»

فأخذت تحاول خلع خاتم الخطوبة من إصبعها وقد اغرورقت عيناها بالدمع، ولكن الخاتم استعصى عند المفصل، وهي تقول: «لقد انتهيت من هذه الخطوبة. إنني أكرهك. هل تسمع؟ إنني أكرهك.»

وشهقت وهو يقبض على يدها، يوقفها عن كل حركة ثم يجرها نحوه ببطء. وكانت خفقات قلبه تتجاوب مع خفقات قلبها. وقاومت هي عبثاً، فقد كان أقوى منها بكثير. وعلى كل حال، فقد ابتدأت أهمية المقاومة تقل وتتلاشى كلما أخذت غريزتها في التهديد بالسيطرة عليها.

قال: «هذا أفضل. لقد حان الوقت لكي تتعلمي أن الهرب لا يحل مشاكلك.»

الفصل السابع

تصاعد توترها وهي تراه يرمقها باهتمام ويتأملها بشوق، حاولت تحاشي نظراته مرات عدة، ولكنها في كل مرة كانت تراه لا يحيد نظره عنها أبداً.

إذن، فهو يريد الصراع. وهكذا تعمدت، لتغيظه، أن تبقى ساكنة دون حراك. ولكن تقديرها كان خاطئاً. ذلك أنها، شعرت برأسها يدور وقد نسيت أنها تكرهه وأن تكره ما يفعله بها. ولم تكن تدري من منهما اكثر استحقاقاً لكراهيتها، أهو، بإثارته ما بقي في نفسها نحوه من مشاعر، أم نفسها لعدم مقاومتها له بما فيه الكفاية؟ أين كرامتها واحترامها لنفسها؟ كيف تستسلم لرجل يحتقرها إلى هذا الحد؟ وصرخت به قائلة: «دعني أذهب.»

قال: «أمازالت ثمة مشكلة بينك وبين الصدق، يا بنيتي؟»

فأجفلت، ولكنها أجابته قائلة: «ليس ثمة مشكلة أبداً. ذلك أن سماحي لك بأن تخطبني هو عدم الصدق بعينه، حيث أنني أعرف ما تظنه بي.»

فسألها: «هل أنت تعلمين حقاً ما بنفسي؟ أؤكد لك أن هذا لو كان صحيحاً لاحمر وجهك الجميل خجلاً.»

فأسبلت أهدابها الطويلة تخفي بهما ما ارتسم في عينيها من ذعر مفاجىء لا بد أن يراه. وهمست: «إنني... أريد الذهاب إلى البيت.»

فأجاب: «ولكنك في البيت فعلاً.» وقبل أن تدرك ما يعنيه،

خطا نحو الباب الخارجي. وسمعت صوت القفل يدور، ثم رأته يضع المفتاح في جيبه.

لقد سجنها. وأذهلتها ردة الفعل عندها لدى إدراكها ذلك. أين ذهبت الصدمة؟ السخط؟ ذلك أن الشعور الذي سرى في نفسها كان بدائياً فطرياً في حلاوته، إلى أن أقنعت نفسها، أخيراً، بأن هذه المغناطيسية فيه هي علامته المميزة. فقد سبق ووصفه النقاد بأن نظرة واحدة منه كفيلة بأن تجعل أي امرأة تحلم به، ولما كانت هي تدرك تماماً جاذبيته الشديدة، فستكون مجنونة إذا هي سمحت له بهزيمتها.

وقالت له: «افتح الباب ودعني أخرج، ماذا سيقول الناس عنا؟»

فأجاب: «سيقولون إننا محظوظان بهذا الحب القوي الذي يربط بيننا بحيث جعلنا لا نستطيع انتظار عقد قراننا.»

إذن فهذا كان قصده من قصة الخطوبة هذه، وانتابها شعور غامض بخيبة الأمل.

وقال: «لا شأن للناس بهذا، فهو بيني وبينك فقط.»

فقالت بضعف: «ليس هناك أنت وأنا، عليّ أن أعود إلى البيت لأجل سوزي.»

فقال: «كلا، ليس عليك ذلك، لأنها في منزل صديقتها تتمرن معها على امتحان الموسيقى، لقد أخبرتني بنفسها.»

ولعنت في سرها عدم قدرة سوزي على الخداع، وعادت تقول: «إنني لست مهيأة لقضاء ليلتي في الخارج.»

فقال: «إن هذه الشقة معدة أصلاً لاستضافة المدراء التنفيذيين. وهي تحوي كل ما يحتاجونه.»

فاحمر وجهها وهي تقول: «لن أرتدي قميص نوم معد لصديقة رجل اعمال.»

فقال: «ان ظنك السيىء هذا لا مبرر له، لأن ضيوفي ليسوا رجالاً دوماً.»

فقالت: «وهل تلومني لهذا الظن وأنا أراك تحضرني إلى هنا، وتسجنني ثم تعرض عليّ ملابس مستعارة؟ وكيف لي أن أعلم أن هذه ليست إحدى هواياتك؟»

فقال: «انت تعرفين انني لست كذلك. وكان عليك أن تعتبري هذه الليلة فرصة من العمر لكي ننسى كل شيء ما عدانا نحن الاثنين.»

فازدردت ريقها بصعوبة وقد شعرت بالارتباك لما كانت تعنيه كلماته هذه، وعادت بها الذاكرة إلى العهد الذي كان حبه لها يملي عليه تصرفاته. كيف بامكانها أن تقارن ما يقوم به الآن من عبث، بذكريات تلك الأيام الغالية؟ ومع هذا، فقد بدا صوته من الرقة بحيث عادت لها الذكريات وتمتمت: «لن اسامحك ابداً على تصرفك هذا.»

جلست بيني على الاريكة بهدوء، وذراعاها حول ركبتيها وهي تفكر في تصرفها الليلة الماضية.

إنها تعترف لنفسها، كارهة، بأنها كانت فعلاً بشوق إليه. أي نوع من النساء هي لكي تتجاوب معه بمشاعرها تلك مع أنه كان عليها أن تحيل نفسها إلى صخرة وهي تراه يحضرها بالخديعة ويقفل عليها الباب؟

وأشاحت بوجهها عنه متجنبة تحديقه في وجهها، لكي لا يرى الخضوع في عينيها على الأقل.

ما الذي بينها وبين ريد؟ وشعرت بالهلع من الجواب

يستولي عليها، أهو الحب؟ ومن جانبها هي على الأقل؟ ربما، في الحقيقة، لم يتوقف حبها له قط، وبالرغم من كل شيء.

أرادت أن تحمل نفسها على الاعتقاد بأن الأمر كله لا يعدو أن يكون تجاذباً، من جانب ريد على الأغلب. ولكن، من جانبها هي، كان التفكير في كنه شعورها يزيد في نفسها ألماً حارقاً.

وأطلقت آهة طويلة وهي تحاول اكتناه حقيقة مشاعرها نحوه. صحيح أنها كانت تشعر بنفسها أسعد من أي وقت مضى، ولكن الارتباك كان يسيطر عليها كذلك. أتراها اقترفت أكبر غلطة في حياتها، بسماحها لعواطفها ان تتغلب على عقلها؟

سماحها هي بذلك؟ وكادت تطلق ضحكة عالية. في الواقع، هي التي ضعفت أمام قلبها، وما عليها أن تلوم سوى نفسها.

وحاولت أن تهرب من أفكارها هذه، إلى الثرثرة، فقالت له: «إذن، فهذا هو شعور السجين.»

فقال: «يجب أن تكوني شاكرة لهذا السجن، كما تسمينه، فكري في ما كنت ستخسرينه لو أنني كنت تركتك تهربين.»

وتمنت لو تخفي وجهها عنه خجلاً وارتباكاً، فهي لم تحتمل أن يذكرها بذلك، وقالت مستنكرة: «ما كان لك أن تقفل عليّ الباب.»

فأجابها باسماً: «هل أنت متأكدة تماماً من انني اقفلت عليك الباب؟»

فقالت: «ولكنني رأيتك بنفسي وأنت تقفله.»

فقال: «لقد رأيتني أضع المفتاح في جيبي، ولكن لم يخطر ببالك أن تجربي القفل.»

فقالت: «ويحك! لو كنت أعلم...»

فقاطعها: «ولكنك لم تفعلي، لأنك، لأول مرة في حياتك، لم يُسمح لك بالهرب، ألم تأخذي درساً مما حدث نتيجة هربك ذاك؟»

أحنت رأسها إلى الامام وهي تقول: «إن الدرس الذي أخذته هو أن لا أثق برجل مثلك.»

فعاد يسألها: «ولماذا؟ هل أصبتك بضرر؟»

فقالت هامسة: «كلا.»

فمد يده يرفع وجهها بإصبعه وهو يقول: «انك غاضبة إذن، لأنني جعلتك تتفوهين بأشياء لا تريدينها. ما الذي يخيفك من هذه المشاعر لكي تهربي منها؟»

فأجابت: «إذا كان لا بد لك من أن تعلم، فإن حياة والداي الزوجية كانت سيئة جداً. لقد كانت حلوة مشرقة في الظاهر، ولكنها في الباطن كانت مرجلاً يفور بالأذى والكراهية التي كانت تبرز للعيان في كل مرة يختلفان فيها.»

فقال: «ومع هذا بقيا معاً.»

فأجابت: «كان ذلك لأجلي ولأجل أختي جو. وكان كل منهما يهدد بترك المنزل. وأحياناً كنت أتصور أنه كان الأفضل أن ينفذا تهديدهما بدلاً من أن نبقى أنا وأختي على الدوام نتحرق من القلق والتوتر، ونتساءل كل صباح عند استيقاظنا من النوم، عما إذا كانا مازالا موجودين.»

أخذ يحاول تهدئتها ما جعلها تشعر براحة غير متوقعة. وقال: «إنني أدرك حقيقة شعورك. ذلك أنني شعرت، بعد

www.zewily.com gege86

مقتل والدي، بأنه لم يعد لي أحد في الحياة. وقد حاولت جدتي أن تسد الفراغ، ولكن ذلك لم يكن كافياً. ولحسن الحظ، كانت الموسيقى هي ملجئي وهي التي حفظت لي سلامة عقلي.»

فقالت: «لقد كانت أختي حليفتي، ولكنها، لسوء الحظ، تركت المنزل عندما كنت في الحادية عشرة. فقد ذهبت لتعمل في وكالة أندرو وانتهى أمرهما بالزواج. لقد تركت في نفسي فراغاً كبيراً في الحقيقة، خصوصاً عندما نقل زوجها عمله إلى مدينة اديلاير بعد أن ولدت سوزي. ولم تكن المراسلات والاتصالات الهاتفية تكفي.»

فقال: «ولكن جو شاءت أن تجرب حظها في الزواج بالرغم من تجارب الطفولة السيئة تلك.»

فأجابت: «انها تكبرني بثماني سنوات، وربما، لهذا، أمكنها مواجهة حالة شعورنا بانعدام الاستقرار، بشكل أفضل.»

بدأت تشعر بالارتياح وقد ابتدأ التوتر الذي كانت تشعر به كلما أتت على سيرة حياة والديها الزوجية ينحسر تدريجياً.

وأحست بالنعاس عندما تعالى صوت جرس الباب. ونظر ريد في ساعته ثم قال: «هذا موعد إحضار العشاء، فقد رأيت انك ربما تفضلين تناوله هنا بدلاً من الذهاب إلى المطعم.»

وتبادر إلى ذهنها أنه فعل ذلك لكي يبقيها تحت الحراسة فلا تهرب إذا خرجا... أتراه يعرفها اكثر مما تعرف هي نفسها؟ وشعرت بما يشبه الذعر لهذا الخاطر. هل من عادتها حقاً الهرب من تحديات الحياة؟

وبينما ذهب ليفتح الباب، بقيت هي في مكانها وقد تاهت بها الأفكار. لقد رحلت إلى لندن هرباً من تعنيف ريد بعد حادث الاصطدام، حيث أخذت تعيل نفسها بالعمل كاتبة ناسخة. وقد أثبتت نجاحها في هذا العمل، وكانت على وشك أن تصبح كاتبة الوكالة الأولى، عندما استدعاها مرض والدها، فتركت كل شيء لتعود إلى اوستراليا. هل كان تصرفها هذا هرباً من مسؤوليات اكبر مما تريد؟

الويل لريد الذي زرع هذه الشكوك في نفسها. لا أحد يملك تلك الثقة البالغة في النفس كالتي يملكها هو، ولا شخصيته، ولا موهبته الفائقة التي تسحر جمهوره وتفسر سر نجاحه العملي. لا أحد يوازي ريد براندن في قوة الشخصية.

وسمعت صوته يقول: «يمكنك الخروج من الغرفة الآن.»

خرجت من غرفتها لترى عربة العشاء المعدة لشخصين وقد توسطتها زهرية من البلور فيها وردة واحدة حمراء، إلى جانب شمعة في شمعدان فضي، وجلست بجانبه، وهي تقول: «آسفة لعدم ارتداء ملابس مناسبة للعشاء.» فنظر إليها ساخراً وهو يقول: «ان ملابسك هذه مناسبة أكثر لما كنت عليه منذ عدة أيام.»

فقالت باستياء اكبر مما كانت تشعر به حقيقة: «لا تذكرني. إنني في غاية الإشمئزاز من هذه المسرحية.»

فقال: «ان طريقتك في اظهار اشمئزازك لا مثيل لها.»

فكرت في أن ترفض الطعام. ولكن الرائحة الشهية المنبعثة من الأطباق المغطاة أشعرتها بالجوع. وفكرت في أن رفضها تناول الطعام لن يغير ما حدث.

وكشف طبقاً يحوي كافياراً بالبيض، وبدلاً من أن يقدم لها الطبق، أخذ منه بالملعقة، ثم رفعها إلى فمها قائلاً: «تذوقي هذا، فهو المفضل عندي.»

ففتحت فمها محتجة، ولكنه اغتنم الفرصة ليدس الملعقة في فمها. فحملقت فيه رافضة الاعتراف بأنه لذيذ حقاً.

وجعلها اطعامه لها بيده، تشعر بالضعف والعجز ما أثار اعصابها.

وأخذت تأكل بنفسها وقد بدا على وجهها الحزم، وهي تقول: «ماذا كنت ستفعل لو أنني صرخت عند دخول الرجل الذي احضر العشاء، أطلب الشرطة؟»

فقال برفق: «كنت، عندذاك، سأعتذر عن علو صوت الهاتف في غرفة النوم.» ثم نظر إليها متأملاً وهو يقول: «ولكنك لم تصرخي مستنجدة، أليس كذلك؟»

ولم تستطع إلا أن تتساءل عما منعها من الصراخ. وكذلك عن عدم تفحصها قفل الباب إذا كان مقفلاً حقاً أم لا؟

وعندما انتهت من العشاء الشهي، غمرها شعور بالعافية والغبطة.

ولا بد أن الرضى بان على ملامحها، لأنه رمقها باسماً ثم قال: «إن الحب والطعام الجيد هو دواء شاف من كل مرض.»

وشعرت بالغيظ من نفسها لاستكانتها إلى الكسل في الوقت الذي عليها فيه أن تعمل للهرب. وردت عليه بحدة: «ولكنهما لا يشفيان قلة الاحترام أو عدم الاعتبار.»

فقال بلهجة ذات معنى: «أظن أنني اظهرت نحوك اعتباراً تاماً هذا النهار.»

فقالت وقد تورد وجهها: «إنني لم أقصد ذلك، بكلامي، وإنما عنيت الطريقة التي احضرتني فيها إلى هنا، ثم رفضك أن تدعني أذهب. إن كلامك صحيح، فأنا، لو أتيحت لي فرصة، لكنت هربت.»

فانفجر ضاحكاً بسخرية وهو يجيبها قائلاً: «انك تكذبين، فقد حصلت لك اكثر من فرصة للهرب.» ولعلمها أن كلامه صحيح، ازداد غيظها من نفسها، فقالت: «لا بأس، ليس من حسن الأخلاق أن تستعمل الخداع نحوي...»

فرفع حاجبيه ساخراً وهو يجيبها: «يبدو انك جاهزة تماماً للغواية.»

فقالت: «لقد كرهت ذلك. كرهت كل دقيقة منها.»

فقال: «أحقاً؟»

وقبل أن تدرك ما سيفعل، كان هو قد أزاح عربة الطعام جانباً. فهتفت به: «ماذا تفعل؟»

فأجاب: «مزيداً من الخداع ما دامت هذه، كما يبدو، أحسن طريقة للتفاهم معك.»

وشعرت بالدموع تبلل وجنتيها، فسألها برقة: «أتبكين، يا بنيتي؟»

فأجابت: «أريدك فقط أن تصمت.»

قال لها: «بكل سرور. هل هنالك شيء آخر تريدينني أن افعله لأجلك؟»

وهتفت في أعماقها، نعم، أريد منك حباً. أريدك أن تنظر إليّ بنفس الدفء والرقة اللتين اعتدتهما منك من قبل.

ولكنها اكتشفت أنه، فعلاً، ينظر إليها بنفس الطريقة. وتملكتها الحيرة. وحاولت أن تقنع نفسها بأن هذه تخيّلات

منها وستتلاشى مع برودة ضوء النهار تماماً كما تلاشت رقته من قبل ولكن... وتملكها الرجاء لحظة في انه قد تكون هناك فرصة تجمعهما معاً في النهاية.

وأدهشها أن يقول لها: «يبدو أن هذا المنزل هو المكان الوحيد الذي باستطاعته أن يربط بيننا.»

فقالت وقد تملكها الذعر للسهولة التي يستطيع بها اخراجها عن تعقلها: «لم أكن أظن انك تهتم بالروابط.»

فنظر إليها بامعان ثم قال: «انني اهتم بذلك اكثر مما تظنين بكثير. فانا مثلاً، أعلم انك لا تكرهينني إلى الدرجة التي تريدينني ان أظن. أنا أعلم انني اذكرك بما تريدين نسيانه ولكنني لا أظن أن هذا يجعلني غولاً في نظرك.»

فقالت: «إذن فقد عدنا للقول ان الذنب هو ذنبي.»

فقال: «هذا قولك أنت وليس قولي.»

فهزت رأسها بعنف قائلة: «بل هذا ما تفكر فيه أنت.»

فقال: «وهل هذا بمستغرب بعد أن رحلت إلى لندن بدلاً من أن تواجهيني؟»

وفكرت بألم في أنه كان عليه أن يلحق بها. فقد كانت تركت خلفها رسالة بمكانها لمن يريد أن يلحق بها، ولكنه لم يفعل. وهكذا اعتقدت أنها خيبت أمله فيها إلى حد أنه هجرها إلى الأبد.

وقالت ضارعة: «دعني أذهب.» لا بد انها مجنونة اذ تسمح له بكل هذا رغم انه لا يغير ما كان قد حدث، ولا شعوره بالنسبة إلى ما مضى، فهو سيستمر على هذا الشعور بسبب ما حدث لأبويه. بصرف النظر عن مدى انسجامها معه. وعاجلاً أم آجلاً، سيلقي خطأها ذاك والذي

كاد أن يكون مميتاً، سيلقي ظلاً على أية سعادة قد يصلا إليها. وحياة والديها هي خير برهان على ذلك.

وسألها: «أتريدين أن تذهبي الآن أم في الصباح؟»

وشعرت بالتردد، كان لها أن تطلب فقط فيطلق سراحها. فلماذا لا تفعل؟ ذلك لأنها لم تكن متأكدة من أن هذا ما تريد. لقد أيقظ في نفسها ذكريات رائعة كانت تريد التمسك بها مدة أطول، فهل في هذا خطأ؟

وهمست وهي تتساءل عما قد يعني جوابها هذا قائلة: «بل في الصباح من فضلك.»

فقال: «أرأيت؟ إن هذا المكان أفضل منه من أيّ مكان آخر.»

فقالت: «ولكن هذا لن يغير من الأمر شيئاً.»

فقال: «كلا بالطبع» وغادر الغرفة بهدوء، فنظرت إليه باستغراب. كان من المفترض ان تشعر بالارتياح لذلك، لكنها على العكس، شعرت بخيبة أمل.

www.rewity.com gege86

الفصل الثامن

كان الجوّ ماطراً، وكانت الريح تصفع الزجاج أمامها بالمطر بعنف. وكانت مصابيح الشارع قد استحالت إلى شريط غائم من الضوء. وكانت الأجسام المعتمة تتحرك أمامها بينما دقات قلبها تتجاوب مع حركة مسّاحة الزجاج.

وفجأة، برز من الظلام أمامها فم ضخم مفتوح عن أسنان تلمع بالشر. كلا، إنها ليست أسنان وإنما مقدمة شاحنة ضخمة. واختنقت الصرخة في حلقها والشاحنة تبتعد، بعد أن اخطأتهما بعدة سنتمترات بينما أخذت أبواق السيارات ترتفع محتجة.

وتصاعد صرير الكابحات الثاقبة، وتمسكت هي بما أمامها بعنف، بينما كانت تنحرف جانباً وهي تشعر بنفسها كالفلّينة في وسط البحر، وقد أخذ حزام السيارة يضغط على صدرها. ثم، لم يعد ثمة مكان يلجآن إليه. وبرز جدار من القرميد أمامهما مشبهاً كفاً ضخمة لشرطي سير.

وفي لحظات، كانت تلك الكف تصفعها محدثة صوت انسحاق معادن يصم الآذان، ومن ثم انقلب الكون رأساً على عقب.

«لا ...»

وهبّت من رقادها وقد أيقظتها حشرجة صوتها الذي ما زال صداه منبعثاً في ذهنها كصرخة مدوّية. ونظرت حولها شاعرة بالدوار. أين هي؟

ولكنها ما لبثت أن تذكرت أنها أمضت الليلة في منزل ريد.

وسمعته يتكلم في الهاتف من الغرفة الأخرى. وفهمت أنه كان يتحدث في شؤون العمل.

كانت ترتجف بينما كان وجهها يسبح في العرق من تأثير الحلم. وجذبت الغطاء فوقها، ولكن الدفء لم يتسرّب إلى جسدها. لماذا حلمت الآن بالحادث؟

وعللت ذلك برؤيتها لشريط الفيديو الحاوي لحادث اصطدام والدي ريد. والتوى قلبها ألماً وهي تتصور وجهه وهو يشاهد المنظر. ولا عجب من استيائه البالغ منها.

وحاولت أن تتذكر الحلم. وبدا لها الآن كل شيء أكثر وضوحا. الانحراف لتجنب الشاحنة، ما نجم عنه الاصطدام بالجدار. كان كل شيء واضحاً ما عدا شيئاً واحداً ثابتاً، وهو أنها في كل أحلامها، لم تكن قط وراء عجلة القيادة.

ولم تكن متأكدة من أن الشاحنة كانت هناك حقاً، أم ان مخيلتها قد اختلقتها كعذر تبرّر به الحادث، فقد طمست إصابة رأسها، ذاكرتها ما عدا لمحات من الحادث كانت تراها في أحلامها، ولكنها كانت تتلاشى حالما تستيقظ.

وتنهدت. إن تقليب الفكر في هذا لا يفيد، كما أنه لا يجعل ريد يدخل الغرفة محاولاً طمأنتها إلى أن كل شيء حسن وعلى ما يرام. فإن شعوره بالرغبة فيها شيء وشعوره بالحب شيء آخر مختلف تماماً. وكان هذا تخيلاً منها نابعاً عن تمنياتها. تماماً مثل حلمها الذي يريها حادث الاصطدام من حيث تجلس في مقعد الراكب من السيارة وليس مقعد السائق.

وكان ريد ما زال مستغرقاً في حديثه عن العمل، وهو يذرع الغرفة متحدثاً إلى شخص آخر في الطرف الآخر من الخط. وهكذا تسللت إلى الحمام حيث اغتسلت بسرعة وهدوء.

وعندما ارتدت ثيابها، بدا عليها الانتعاش إلى درجة ملحوظة، رغم أنها تدرك جيداً ما سيثيره من القول خروجها بنفس الثياب التي شوهدت ترتديها حين حضورها أمس حسناً، فليتحدثوا. ووجدت نفسها لم تعد تهتم كثيراً بما يفكر به الآخرون.

هل كان ريد يؤثر على شخصيتها أيضاً كما يؤثر على كل شيء آخر في حياتها؟ إن هذا شيئاً كان يبدو مستحيلاً منذ أسبوع واحد فقط. ولكنها الآن لا تستطيع إنكاره.

وعندما أطلت من الغرفة، كان ريد قد أنهى اتصاله الهاتفي. واستقرت عيناه عليها فترة طويلة.

فقال لها: «تبدين جميلة هذا الصباح، يا بيني. تعالي لنتناول طعام الفطور.»

وكانت عربة عشاء ليلة أمس قد استبدلت بعربة أخرى تحوي فاكهة طازجة وفطائر، أسالت رائحتها الشهية لعابها.

وقالت بصوت خافت: «إنني لا أشعر بنفسي جميلة، لأن شعري غير منتظم وكذلك ملابسي متجعدة.»

فقال: «إنه مظهر امرأة مرتاحة، مسرورة. فوجهك يبدو مشرقاً وعيناك متألقتان، وهذا يغويني بأن ألغي أعمال نهاري كله لأبقى معك هنا مقفلين الباب علينا.»

فقالت وقد تذكرت كيف احتال عليها الليلة الماضية

مدعياً بأنه أقفل الباب عليها، قالت: «وهل تظن أنه سرّني استغلالك لي كألعوبة؟»

فنظر إليها بعينين ثاقبتين وهو يجيبها قائلاً: «لم يكن في الأمر أي استغلال، فقد كانت راحتك بالحديث بما حدث قدر راحتي تماماً.»

فجلست على الكرسي المقابل له ورأسها ما زال منخفضاً وهي تقول: «لا أستطيع إنكار ذلك.»

هل لديه فكرة، يا ترى، كم كلفها اعترافها هذا من جهد؟

وقال: «هذا حسن، حسن جداً. أخيراً هناك الصدق. إننا نتقدم في الحقيقة.»

فرفعت رأسها تنظر إليه قائلة بحقد: «كلا. إننا لا نتقدم. إن هذا أمر ينتهي هنا، والآن...» وأبعدت القهوة التي كان قدمها لها، وهي تتابع قائلة: «لا أريد شيئاً سوى السماح لي بالذهاب إلى بيتي.»

فترك كوب القهوة من يده، وألقى بالمنشفة جانباً وهو يقول: «سأوصلك إلى كانغالوما بنفسي.»

فقالت: «لا تكلف نفسك هذا العناء، فإن سيارتي موجودة.»

فشتم بصوت عالٍ وهو يقول: «هل عدنا إلى هذا مرة أخرى؟ هل الهرب أسهل عليك من الاعتراف بأنك كنت مرتاحة هنا ليلة أمس؟»

فقالت: «ما دار بيننا أمس من حديث كان وهماً.»

فقال: «كلا، بل كان حباً. وهناك فرق بين الاثنين.»

فقالت بعناد: «في الدرجة فقط.»

فسألها ساخراً: «وهذا لم يشعرك بأيّ راحة؟»

فصرخت تقول بلهجة قنوط: «لقد سبق واعترفت بذلك. ما الذي تريد مني أن أقول أكثر من ذلك؟ انك أعظم رجل في العالم؟ إنني، بعكسك لست في وضع يجعلني أحكم على ذلك.»

وأذهلها أن تقول له كلاماً سفيهاً كهذا، فعادت تقول: «آسفة، ما كان لي أن أعني بقولي هذا...»

فقاطعها يكمل كلامها: «تعنين أنك إحدى نساء كثيرات أعرفهن؟» فأجفلت للهجته اللاذعة بينما تابع هو يقول «كلا، ليس لك الحق في هذا الافتراض.»

ولكنها لاحظت أنه لم ينكر هذا، على كل حال. وتذكرت ما كانت تونيا قد سبق وأكدت لها من أنه سيعود للاتصال بها. وتملكها شعور بالإحباط وهي ترى مبلغ تألمها لهذه الفكرة، مع أن ليس لها الحق في أن تتألم أو تهتم، وتملكها الاضطراب، وحولت عينيها عنه لكي لا يرى الدموع في عينيها.

وعادت تقول: «أقدم إليك اعتذاري.»

فقال: «ولا شيء غير ذلك؟»

ما الذي يريده منها؟ ألا يرى مبلغ الصراع الذي يدور في أعماقها؟ وأجابت: «أليس الاعتذار كافياً؟»

فاستدار حول عربة الطعام وهو يقول: «بالنسبة إليك، الإعتذار لا يكفي أبداً.» وفي اللحظة التالية حاول الاقتراب منها، ولكنها انتبهت إلى نفسها، وصرخت به: «لماذا تفعل هذا؟»

فرفع حاجبيه قائلاً: «هل هذا بحاجة إلى سؤال؟ لقد شعرت من تجاوبك معي بأن ميولنا متبادلة.»

فأنكرت قائلة: «انك مخطىء. فأنت لا تشعر نحوي حتى بالمودة، ولكن هذا لا يقارن بما أشعر انا به نحوك.»

فقال بشيء من السخرية: «إنك، إذن، تكرهينني؟»

فقالت: «أليس هذا واضحاً؟»

فقال: «الواضح هو أنك تكرهين ما أجعلك تشعرين به. ولكنك لم تكوني هكذا دوماً.»

فسدّت أذنيها بأصابعها وهي تقول: «كل شيء قد تغيَّر منذ ذلك الحين. فأنا قد تغيَّرت.» لم تكن تريد أن ينكرها بما سبق وخسرته. فقد كانت الخمس سنوات الماضية كافية لدفع الثمن، وهي ترى صورته في كل مكان، مدركة أنها فقدته إلى الأبد.

كان ذلك عندما قررت أن تلتمس عملاً في الخارج غير أنها حتى في تلك الظروف لم تشأ أن تذهب دون أن تخبره. ولكن تونيا اتصلت قبل ذلك لتخبرها بأن ريد سيغيّر وكالات الإعلام التي يتعامل معها. ولم تصدق ما قالته تلك المرأة حتى قرأت ذلك في الصحف. عند ذلك أدركت تماماً أن كل شيء قد انتهى، وسافرت إلى لندن دون أن تحاول رؤيته مرة أخرى، وليلة أمس كانت أكثر مما كانت تتوقع، أكثر بكثير.

قال لها: «ثمة أشياء لم تتغيّر، وهي قدرتك على أن تسلبيني عقلي.»

وشعرت بالسرور لهذا إلى أن عادت ففكرت في أن كل هذا ما هو إلا احساس عابر، فقالت متوسلة: «كفَّ عن هذا، أرجوك. فأنا لا يمكنني متابعة خطوبتي لك في مثل هذه الأحوال.»

www.rewity.com gege86

فنظر إليها بجدية قائلاً: «أنكري شروطك إذن. ربما بإمكاني تحقيقها.»

ماذا تراه سيقول لو أنها ذكرت حباً غير مشروط كمطلب رئيسي؟ إن بإمكانها أن تتصور السخرية التي سيتقبل بها مثل هذا الطلب غير المعقول.

وقالت: «أعني لا أستطيع متابعة هذا الإدعاء مهما كانت الشروط، فقد انتهت الحاجة إليه. ووسائل الإعلام فقدت اهتمامها بك وبمدرسة سوزي. وبرنامج المرشدين هو الآن في أمان.»

فقال: «إنك لا تعرفين قدرة الصحف على التذكر. ذلك أن خطبة قصيرة الأمد كفيلة بأن تدفعها للتنقيب عن الأسباب.»

فسألته: «إلى متى سيطول أمد الخطبة إذن؟»

أجاب: «أهي محنة غير محتملة؟ لم يكن هذا هو تفكيرك الليلة الماضية.»

فأشاحت بوجهها الذي توهج خجلاً وهي تقول: «هل من الضروري أن تذكرني بذلك؟»

فأجاب: «وهل من الضروري أن تخاصميني لأقل شيء؟»

نعم، إذا كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي تبقيها بعيدة عنه في الوقت الذي تدفعها أحاسيسها إلى القرب منه. فقد كانت في لحظة خبل، قد حسدت تونيا على عملها مع ريد طيلة تلك السنوات، بصفتها يده اليمنى... فهل كانت صديقته في نفس الوقت؟ وشعرت برغبة ملحّة في جعله ينسى وجود أي امرأة أخرى سواها.

جعلتها هذه الافكار ترتجف وهي تشعر أنها على حافة

الخضوع، ولكنها تراجعت في الوقت المناسب وهي تهمس: «خذني إلى البيت.»

ما الذي جرى له؟ وكان ريد يفكر بذلك ثائراً وهو يقود سيارته في وسط الشارع. وكانت بيني قد وافقت على أن يوصلها إلى المنزل بنفسه بعد أن وعدها بإرسال سيارتها إليها فيما بعد.

كانت ثورته لأن مجرى خطته قد تغيّر كلياً. فقد كان إبعادها عن المنزل الليلة الماضية هو الطريقة الوحيدة للقيام بالمفاجأة. ولكنه لم يكن ينوي معاملتها بتلك الطريقة. فمن أين أتته فكرة إقفال الباب عليها؟

كذلك لم يكن ينوي أن يريها شريط الفيديو لولا ثورة طبعه، فلو أنها لم تتخلَ عن إصرارها ذاك في أنها لم تكن تقود السيارة وقت الحادث، إذن لما اضطرها إلى تحمّل تلك المحنة. واضطر إلى ذلك هو أيضاً.

وكانت رؤيته لذلك الشريط مرة أخرى، قد جعلت أحاسيسه مرهفة للغاية.

لم يكن يدري السبب الذي جعله يحتفظ بهذا الفيلم. ربما لأنه كان آخر اتصال له بوالديه، وليذكره كيف تنتهي الحياة أحياناً بشكل غير معقول.

لقد ذكّره مرأى ذلك الفيلم مرة أخرى، بالغضب العنيف الذي تفجّر في أعماقه أول مرة. كان غضباً ساحقاً. ولما لم يكن ثمة من يسحق، فقد سحق العالم بدلاً من ذلك. أولاً بموسيقاه على المسرح، وثانياً في الاستديو بتسجيلاته الموسيقية، وأخيراً على مستوى الاتحاد العالمي المشترك. أما الآن فهو مستعد لمواجهة تحدّ جديد.

كان ما يريده بيتاً خاصاً به. وأخذ يفكر في كانغالوما. إنه لم يرغب قط من قبل، في امتلاك عقار قدر ما يرغب الآن في امتلاك هذا المنزل.

وألقى نظرة على بيني التي كانت متهالكة بجانبه وقد بدا عليها العجز، محوّلة وجهها نحو المنتزهات التي يحدّها البحر على يمينهما. من المؤكد أنها لم تظهر بمثل هذا العجز الليلة الماضية.

لقد كان جعله تكاليف إصلاح المنزل فوق مستوى إمكاناتها، لكي يرغمها بذلك على بيع كانغالوما له، كان ذلك يبدو له في البداية شيئاً معقولاً، حتى انه أقنع نفسه بأنه يسري إليها بذلك، فمتى بدأ يراجع فكره الآن؟

وقال لها وهو يقترب من المنزل: «هل كنت تتوقعين زائرين؟» ذلك أن سيارة ماغنا فضية كانت تقف أمام المنزل.

أجابت: «كلا، ولكن... إنها مثل سيارة جو. ولكن موعد عودتهما، هي واندرو، هو بعد أسابيع.»

فقال: «ربما تعبت من السفر فشاءت أن تعود مبكرة.»

فقالت: «هذا ما يبدو. أرجو أن لا تكون قد انتظرت وقتاً طويلاً.» وشعرت بالضيق لفكرة أن جو ستعلم أين أمضت ليلتها ومع من، كما لو كانت ما تزال مسؤولة من أختها الكبرى. وكان هذا شعوراً أحمق ولكنها لم تستطع التخلص منه.

وسألها: «هل لديها مفتاح؟»

فأجابت: «طبعاً ما دامت تملك نصف المنزل. الأفضل أن أدخل لأرى المشكلة.»

قال لها: «قد لا يكون هناك مشكلة.»

فنظرت إليه بشك وهي تقول: «إنك لا تعرف أختي. لا شيء في العالم يجعلها تغير رأيها بسهولة.»

فقال: «سأذهب لأرى متعهد البناء، لأمنحك وقتاً تتحدثين فيه إليها بمفردكما.»

فابتسمت له وهي تقول: «شكراً. معك حق. قد لا تكون هناك مشكلة.»

ولكن، كان هناك فعلاً شيء ما. وقد أدركت هي ذلك حالما وقعت عيناها على ملامح جو. وكانت أختها في المطبخ تصنع قهوة عندما دخلت بيني.

وسألتها جو: «أين كنت؟ لقد شعرت بالقلق الشديد عليك؟»

وذكرها قلق أختها عليها بأنها في السادسة والعشرين الآن ولم تعد في السادسة عشرة. ذلك أنه منذ وفاة والدتهما، اتخذت جو دور الأم بالنسبة إليها وأصبح صعباً عليها التخلي عنه.

وأجابتها قائلة: «لقد أمضيت الليلة خارج المنزل.»

فهتفت أختها: «طوال الليل؟ آه يا بيني. أرجو أنك كنت واعية لنفسك؟»

واتقاء لمحاضرة جديدة من أختها كما يبدو، قالت تغيّر من الموضوع: «متى وصلت من السفر؟»

فأجابت: «حوالي الساعة السابعة هذا الصباح، ولحسن الحظ كان مفتاحي معي. أرجو انك لم تستائي لدخولي في غيابك؟»

فقالت بيني: «كلا بالطبع فهو بيتك أنت أيضاً.» ومدت يدها تأخذ من أختها فنجان القهوة وهي تقول: «هل ثمة مشكلة؟»

www.rewity.com gege86

فأجابت جو: «ولماذا تكون ثمة مشكلة؟»

فأجابت بيني: «لعودتك المبكرة إلى البيت وليس من عادتك تغيير خططك إلا لسبب وجيه.» وأطلقت ضحكة عصبية وهي تتابع قائلة: «عندما كنا أطفالاً، كان أبي دوماً يقول إن بإمكانه أن يضبط ساعته على مواعيدك.»

فابتسمت جو باشمئزاز وهي تتناول حقيبة يدها من على كرسي قريب، ثم تفتحها وتخرج منها ورقة متجعدة قطعت من مجلة، ثم قدمتها إلى بيني قائلة: «هذا هو سبب حضوري.»

وهتفت بيني: «آه، كلا.» ذلك أنها كانت القصة التي نشرتها مجلة انسايد والتي تحوي صورة ريد وسوزي والمحاولة لإثارة فضيحة بوضع صورته، كشاب عابث، ببرنامج المرشدين التابع للمدرسة. ولم يخطر قط في بال بيني أن نسخاً من هذه المجلة ستصل إلى قارة آسيا وأن اختها ستطلع عليها.

وقالت جو: «آه، نعم. إنني أعرف تماماً أيّ نوع من القصص تكتبه هذه المجلة، ولكن هذا لم يخفف من الصدمة التي انتابتني وأنا أرى ابنتي في قصة كهذه. ماذا يحدث يا بيني؟»

وتأثرت بيني لأختها، شاعرة بالصدمة التي أصابتها والتي لا بد قد ضاعفها بعدها عن ابنتها.

وقالت تطمئنها: «لا شيء هناك مما عنوا في هذه القصة. ذلك أن ريد مشترك في برنامج المرشدين، وهو يساعد سوزي في دروسها الموسيقية، وهذا كل ما في الأمر صدقيني.»

«وأنا أضمن صدق هذا الكلام.»

جاء هذا الصوت من ريد الذي كان يدخل المطبخ.

وأسكت ظهوره المفاجيء جو، بينما تابع هو كلامه ماداً يده يصافحها: «أظنك جو شقيقة بيني؟»

فقالت: «السيد براندن.» لم تشاهد بيني أختها قط من قبل بمثل هذا الذهول. ولم تستطع كبح شعور بالزهو انتابها. وللحظة، تمنت وقلبها يخفق، لو أنها حقاً مخطوبة له، ولو لأجل التأثير الذي له على النساء بما فيهن أختها.

كان يبدو، في بذلته الرائعة التفصيل، صورة حية للأناقة والنجاح. وتمنت جو لو لم تظهر شكوكها وهي تري بيني ما كتب في المجلة إذ لا بد أن يكون قد سمعها.

ولكنه لم يبد أيّ إشارة إلى أنه سمع شيئاً مع انه حين تحوّل لحظة نحو بيني، غمزها بعينه اليمنى. أم تراها كانت تتخيّل ذلك؟

وقال يخاطب جو: «لقد أحسنت تربية سوزي، وقد أخبرتني بيني بأنك شجعتها على الاشتراك في برنامج المرشدين حيث انضممت أنا إليه.»

فازدردت جو ريقها ثم قالت: «هل أنت مرشدها؟ إنها لم تخبرني عمن صممت عليه.»

فقال: «ربما ظنت أنني لن أستجيب لها، وبالتالي لم تشأ أن تخيب أملك، ولكن رسالتها كانت من الجمال بحيث لم أستطع الرفض. وعندما اكتشفت من هي خالتها...» وقطع كلامه وهو يستدير نحو بيني ليرمقها بنظرات دافئة.

فبهتت جو وهي تقول: «أتعني أنكما... أنت وبيني...»

فقال وقد أحس بالشفقة عليها: «بالضبط، وأظنك

تسكنين في مدينة أخرى. ولكنني متأكد من أنك كنت تعلمين بأننا أنا وأختك، كنا متعارفين، وذلك قبل أن نهاجر إلى خارج البلاد.»

فأجابت: «نعم، هذا صحيح. ولكنني لم أدرك أنكما ستعودان إلى سالف عهدكما معاً.»

فقال: «وكذلك نحن، إلى أن اجتمعنا معاً لنتحدث في أمر موسيقى سوزي، أما تلك الصورة التي في المجلة، فقد التقطها المصور في اليوم الذي كنا صممنا فيه على إعلان خطوبتنا.»

فقالت جو: «لا أدري، في الحقيقة، ماذا أقول. طبعاً، هذا الخبر عنكما هزّني من الأعماق. إنك تعلمين يا بيني أنني أريد كل الخير لك.»

فأجابت بيني: «نعم، أعلم ذلك.» وكان هذا صحيحاً، ذلك أن جو قد تتجاوز حدودها أحياناً، في الاهتمام بأختها كونها هي الأكبر سناً، ولكن هذا الاهتمام كان نابعاً من أعماقها، وكانت فيما مضى، تشجعها في علاقتها السابقة مع ريد. وبعد انفصام تلك العلاقة، تجنبت الخوض معها وإسداء أي نصائح بالنسبة إلى ذلك. وكان في هذا ما زاد في حب بيني لشقيقتها وفي تقوية ارتباطهما.

أما الآن، فالزهو يدفىء فؤاد بيني رغم عدم صحة الخطبة تلك. فقد أعجبها أن تفخر جو بها، وكان واضحاً أن ريد قد سحرها كلياً. وكان أمامها إعداد الكثير من الإيضاح عن أسباب فصم هذه الخطبة، فيما بعد. أما حالياً، فكان جميلاً أنه موضع قبول واستحسان أختها.

وما لبثت جو أن عادت إلى رشدها بسرعة، فأشارت إلى

ورقة المجلة وهي تقول: «إنني آسفة لتسرعي في الحكم، وعندما تصبحين أماً أنت نفسك يا بيني، فستفهمين شعوري، إن كل ما أردت هو حماية سوزي.»

فقال: «إنها لم تتعرض قط لخطر أخلاقيّ، إلا في أذهان محرر تلك المجلة القذرة. وإنني واثق من أننا أرضينا تلك الناحية من اهتمامك.»

فتورد وجه جو وقالت: «بالطبع، يا ريد وأشكرك لمساعدتك لها. فهذا سيعني لها الكثير.» ومالت إلى الأمام وهي تتابع: «إذا كنت تريد الحقيقة، فقد كنت أفكر في العودة إلى الوطن على كل حال. فقد وجدت آسيا مزدحمة صاخبة، رغم أن أندروا أحب وجوده هناك. فبقي لفترة، بينما عدت أنا.»

فوضع ريد ذراعه حول كتفي بيني. وهو يقول: «هذا مفهوم، أليس كذلك يا عزيزتي؟ إن عودتك مناسبة تماماً لمساعدة بيني على العمل في خطة الزفاف. وحيث أنه لا يوجد والدين، فسأهتم أنا بكل شيء بالطبع، ولكنني سأمنحني احتراماً لخبرتك بالنسبة إلى الترتيبات.»

وبدا الاعتزاز بالنفس على جو، بينما ابتدأت بيني تغلي في الداخل. كيف يجرؤ على إشراك أختها في خطط يعرف أنها لن تتحقق أبداً؟ وقالت بصوت منخفض: «ما زال الوقت مبكراً للحديث في هذا الأمر. فإن أقدام جو لم تكد تلمس الأرض.»

فتثاءبت أختها بنعومة وهي تقول: «معك حق. إنني ذاهبة إلى بيتي الآن لأرتاح قليلاً، ولكنني أحب كثيراً أن أرى فيما بعد، ما تجرون في هذا المنزل القديم من إصلاحات.

www.zewity.com
qege86

فهو يبدو وكأن سعادة جديدة قد دبت فيه.» وابتسمت لشقيقتها وهي تتابع قائلة: «وليس البيت وحده كذلك.»

فتدخل ريد بقوله، بعد أن أحس بضيق بيني من هذا الحديث: «إن التجديد في المنزل هو في الحقيقة من عملي. فقد كنت أستعمل البيت مركزاً لي، فكان من الطبيعي إذن، أن أجعله في حالة جيدة.»

ولكن جو رفضت أن تسكت فأجابت تقول: «وتألق بيني الجديد هذا... هل هو من عملك أيضاً؟»

فأمسك بيد بيني وهو يجيبها: «أرجو أن يكون الأمر كذلك.»

فبدا الرضى على وجه جو وهي تقول: «هذا وقته كذلك. حسناً من الأفضل أن أذهب، سأذهب لإحضار سوزي من المدرسة وسنأتي غداً لأخذ حاجياتها. لا أستطيع الصبر عن رؤيتها.»

وتركت جو المنزل وهي تعد بالإتصال بهما فيما بعد. وما أن سمعا صوت انصفاق بابَ سيارتها، حتى استدارت بيني إلى ريد تقول: «كيف كان بإمكانك ذلك؟»

فأجاب: «بإمكاني ماذا؟»

فقالت: «التحدث عن عرس لن يحدث أبداً.»

فقال بهدوء أثار غيظها: «كان بإمكانك أن تخبريها بالحقيقة بنفسك.»

فعلاً، لماذا لم تفعل هي ذلك؟ ولكنها قالت تجيبه: «لو كنت أخبرتها، ربما كانت سترتاب من كلامي بالنسبة لقصة المجلة.»

فأومأ برأسه قائلاً: «تماماً. والآن، إذا كنت قد انتهيت من

النقاش في دائرة مفرغة، فإن عندي شيء أريد أن أريك إياه.»

واتجه بها نحو القاعة التي كانت تبدو الآن رائعة الجمال بعد أن استبدلت الألواح الخشبية المنحوتة التي تبطن الجدران. وكانت الأبواب التي تقود إلى غرفة الطعام، مغلقة ففتحها وقد تألق الفوز في عينيه وهو يشعل النور.

وهتفت بيني: «آه، ما أروعها!»

ذلك أن الغرفة الآن قد أصبحت مطلية بلون أخضر قاتم، وذات زخارف فاتحة اللون وكانت نفس الألوان تتكرر في الأثاث أيضاً، وكذلك في المدفأة القديمة وكذلك الثريات الجديدة.

كان الطلاء هو الذي اجتذب انتباهها، حيث أنها بقيت أياماً لا تستطيع الدخول إلى القاعة لوجود العمال داخلها. كان الطلاء هذا قد أصلح حتى أصبح متألقاً بشكل مذهل.

لقد أمضت بيني حياتها ترى هذا الطلاء، ولكنها لم تره قط من قبل مشرقاً رائعاً بهذا الشكل. وابتدأت مشاعرها تصيبها بالذهول، فقالت تسأله: «كيف قمت بهذا؟»

فأجاب: «لقد جعلت عمال الصيانة يشتغلون أياماً تحت ستار التصليح.» وكان يبدو عليه الرضى وهو يتكلم. ذلك أنه بعمل واحد، قد هدم أيّ فرصة قد تكون بقيت لها لتنظل سيدة كانغالوما.

واستدارت تواجهه قائلة وهي ترتجف: «أليست هذه مكيدة منك؟ أن تحتجزني ليلة أمس داعياً إياها فرصة من العمر فقط لكي تكمل وضع يدك على منزلي، أليس كذلك؟»

فقال: «لا تكوني سخيفة.»

أجابت: «أحقاً أنا كذلك؟ إذن فاخبرني أنك بكل سرور، ستترك كانغالوما عندما ينتهي كل هذا.»

ولمعت في عينيه نظرة غامضة سرعان ما تلاشت، ثم قال: «إنني لم أجعل من الأمر سراً وهو أنني أريد واحداً من اثنين، المنزل أو صاحبته.»

فهزت رأسها وقد اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول: «كلا.» لقد كان مستعداً تماماً لعقد أيّ صفقة منهما إذا كان في ذلك ما يؤمن له امتلاك المنزل. ولكنه لم يكن كافياً بالنسبة إليها.

لقد أصبح الآن على عاتقها عبء ثقيل وهو أن تدفع له ما أنفقه على إصلاح المنزل من مبالغ باهظة.

وكان من شعورها بالظلم أن أوشكت على البكاء، ولكنها أبقت رأسها عالياً وهي تقول: «ليس منا نحن الاثنين، من هو معروض للبيع. وحيث أن سوزي عائدة إلى البيت الآن، لم يبق ثمة حاجة إلى هذه الخطبة الزائفة. وهكذا بإمكاننا أن ننهيها الآن. وسأجد طريقة أدفع لك بها ما تكلفته على إصلاح المنزل، وهذا وعد مني بذلك.»

قال لها: «ثمة طريقة واحدة أقبلها للدفع هي أن تتابعي تعاونك معي.»

ووجدت نفسها أمام خيارين، إما أن تفقد بيتها، وإما أن تفقد احترامها لذاتها، فقالت: «لا يمكنك أن تطلب مني ذلك.»

فقال محاولا التأثير عليها ما جعلها ترتجف تأثراً: «ولكنني أطلبه. وها أنت ذي متمردة ظاهراً، وخاضعة مستسلمة في أعماقك. إنك مزيج غريب حقاً، يا حلوتي.»

فقالت: «إنني لست حلوتك، فدعني أذهب.»

فقال: «ليس قبل أن توافقي على الظهور كخطيبتي في حفلة توزيع الجوائز الموسيقية بعد أسبوع. وبعد ذلك بأسبوع أيضاً، سأسلمك حصتي في كانغالوما.»

اسبوعان فقط؟ إنها بالتأكيد تستطيع احتمال اسبوعين إذا كان هذا سيعيد إليها المنزل. وربما كان على صواب في ما قاله عن خطر فصم الخطوبة بهذه السرعة. ثم هناك سوزي التي كانت غاية في الابتهاج انتظاراً للظهور على المسرح.

وأخيراً قالت: «لا بأس. أنا موافقة.»

فقال: «إنه قرار حكيم.»

وبدا وكأن دهوراً مضت وهو يرمقها بنظرات واثقة، وهربت إلى المطبخ بخطوات متعثرة وقد نشب في أعماقها صراع يتحدى كل منطق. ذلك أنها وجدت نفسها توافق على ما يريد، في الوقت الذي كان عليها فيه أن تقاومه بأسنانها وأظفارها. إن مقاومتها له تزداد صعوبة، كما اضطرت للاعتراف. لقد اعتبر استجابتها له قراراً حكيماً، ولكنه يبدو أسوأ خطأ اقترفته في حياتها.

الفصل التاسع

ازداد توجس بيني مع اقتراب موعد حفلة تسليم الجوائز الموسيقية. وكان حضورها مثل هذه النشاطات لجزء من الجمهور، بعيداً عن الأضواء، شيئاً، وحضورها متأبطة ذراع ريد، عالمة بأنهما سيكونان محط الأنظار، شيئاً آخر.

حاولت أن تتخلص من ذلك، متخذة أقدم عذر تتخذه جنس النساء، وذلك بقولها: «ليس لدي ملابس مناسبة.»

فنظر إليها بضجر وهو يقول: «هل هذه هي العقبة الوحيدة التي تقف بينك وبين الاستمتاع بتلك الحفلة؟»

فأجابت: «وماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟» وطبعاً لم تقل له انه هو العائق. وكان قد سبق وأخبرها أن الحفلة قد تطول إلى ساعات الصباح الأولى وقد يضطرهما إلى قضاء الليل في الفندق الذي يستضيف أعضاء لجنة الجائزة. ولم يكن لديها أيّ أمل في أن يحجز غرفتين منفصلتين لهما. وحدثت نفسها بأن ذلك لا يهمها.

وخط هو شيئاً على بطاقة، ثم ناولها إياها قائلاً: «إن ألويس هو صديق لي من الولايات المتحدة. وهو سيساعدك في اختيار ثوب مناسب.»

وحملقت فيه. ذلك أن ألويس هو من أعظم مصممي الأزياء الأميركيين، وكان في سيدني حالياً، مسانداً لعمل خيري مشهور، جالباً معه مجموعة فريدة من أروع الأزياء وأغلاها ثمناً.

وقالت له: «ولكنني لا استطيع دفع الثمن الذي قد يطلبه.»

فأخرج من محفظته بطاقة مصرفية أميركية ناولها إياها وهو يقول: «اعتبري هذا نوعاً من استثماري لنقودي.»

فقالت له غاضبة: «مثل ذلك الذي تقوم به في كانغالوما؟ ما الذي تريده؟ أن تشتريني كما اشتريت منزلي؟»

فتوتر فمه لحظة بمرارة، ثم قال: «لا يمكن أن يقال بأن هذا حدث بالنسبة إلى كانغالوما.»

فقالت: «هذا صحيح.» ذلك أنه بعد أقل من أسبوعين سيسلمها حصته في المنزل لينتهي بذلك اتفاقهما. وشعرت لهذه الفكرة برضى أقل مما كانت تتوقع.

وأخذت البطاقة المصرفية وهي تقول: «مادام لا يهمك إلقاء نقودك كيفما اتفق، فلماذا أناقش؟ انك على الأقل، لن تشعر بالخزي من وجودي بجانبك في الحفلة.»

فبدا الغضب في عينيه، وتقبضت يداه بعنف، قبل أن يعود فيرخيهما، وهو يقول: «ما الذي جعلك تظنين أنني قد أشعر بالخزي من وجودك بجانبي، سواء بملابس ثمينة أم بدونها؟»

هل حقاً لم يكن يشعر بالخزي وهي بجانبه؟ ربما لم يكن ليهتم بذلك. وربما كان يغيظه منها تحديها لذوقه الحسن.

وقالت: «مجرد فكرة طرأت.»

فقال: «وهذه الفكرة من الأفضل أن تنسيها.» فشعر بالغيظ، وسألته: «وإذا لم أفعل؟ هل ستضربني؟»

فنظر إليها محذراً وهو يقول: «ألست خائفة بكلامك هذا من أن تجعليني أصل إلى أفكار خاطئة؟»

فأجابت: «إن عندك ما يكفي من الأفكار.»

فقال: «لم يكن يبدو عليك الإنزعاج من إبداعي منذ عدة ليالي.»

وبدت في عينيه نظرة مبهمة جعلتها تحبس أنفاسها. فقد كانت استعادت ذكريات تلك الليلة مرات أكثر مما تريد الإعتراف بها. وبالرغم من محاولاتها، فإنها لم تستطع أن تبدو بمظهر الشريكة المكرهة على ذلك. وكانت هذه الفكرة تشعرها بالمهانة.

وعرفت من ملامحه أنه يعلم ذلك. وانتابها الغيظ، فقالت: «كان من الممكن أن يزيد من انزعاجي لو كنت أعلم أنها خطة مدبرة منك لإبعادي عن المنزل.»

فاكفهر وجهه وهو يرد عليها قائلاً: «إن تفسيري لتلك الليلة يختلف عن تفسيرك.»

فقالت: «وطبعاً تفسيرك هو الصواب؟»

فقال: «ليس دائماً، ولكنني على صواب في أمر واحد.»

فقالت: «وما هو؟»

فقال: «إذا عادت نفس الظروف، فسيكون تجاوبك هو نفسه.»

وفكرت في أنه لا يمكن أن يكون على صواب، ولكنها أيضاً لم تستطع الانكار الذي يستحقه. ربما لأنها لم تستطع أن تحمل نفسها على الكذب، وهكذا قالت له: «حسناً، لن أرد عليك بل سأتركك حائراً في تساؤلاتك وأذهب لشراء الثوب.»

وعندما خرجت، سمعت دويّ ضحكته الساخرة، لا بأس، ان هذا سيكلفه غالياً.

خرج ألويس غادا من جناحه في الفندق الذي ينزل فيه،

حاملاً بيده ثوباً. وكان لاسم ريد فعل غريب عليه، وسرعان ما أخذت منه موعداً صباح اليوم التالي لكي تختار ثوباً من مجموعته.

وفي الصباح التالي، بعد ساعتين أمضتهما في تجربة العديد من الأثواب، شاعرة بالدوار، ولكن كانت على شفتيها ابتسامة ظافرة، ولم تكن لتصدق أنها دفعت الافاً من الدولارات ثمناً لثوب أسود... ولكن أي ثوب! كان جماله يخطف الأبصار. فخصرها بدا فيه أنحف من المعتاد كما كانت أذياله المخرمة تصل إلى أسفل ساقيها. أما فتحة العنق فكانت مصنوعة من الدانتيل الأسود المزين بأحجار الماس.

كان ألويس قد قال لها: «ستكونين موضع حسد كل إمرأة في الحفلة، ليس فقط لأنك ترتدين ثوباً من ابداع غادا، وإنما لأن ريد براندن المنيع لن يستطيع ان يحوّل عينيه عنك.»

وكاد كلامه هذا أن يدفعها إلى أن ترفض الثوب، فقد بدا وكأنها تلعب بالنار. لكنها عادت فشعرت بالضيق من نفسها لكل هذا الاهتمام منها برأي ريد. وكان الثوب قد جعلها تشعر بالثقة بالنفس، وكانت تدرك أنها ستكون بأشد الحاجة إلى ذلك لمواجهة ذلك الجمهور في الحفلة. فإذا لم يكن باستطاعة ريد ان يضبط مشاعره، فليس الذنب ذنبها.

وعادت إليها شكوكها بشكل جديّ عندما قرع بابها ليعلن أن الوقت قد حان ليخرجا إلى الحفلة. وكانت قد انتهت لتوها من تسريح شعرها بجمعه على مؤخرة عنقها بعقدة من شريط أسود، تاركة عدة خصلات جعدة حول وجهها منحت ملامحها رقة أخاذة. وكانت أذناها بحاجة

إلى قرطين، ولكن ما كانت تملكه كان حلياً زائفة ما يشكل إهانة لتلك الأحجار الثمينة التي كانت ترصّع الثوب، وهكذا قررّت أن تترك أذنيها خاليتين من الخلى، وكانت زينة وجهها خفيفة، والإسراف الوحيد الذي استعملته هو في اللون الياقوتي الفاقع الذي وضعته على شفتيها ليخفف من سواد الثوب. وأخذت تمر على شفتيها بعصبية عندما أخذ ريد يتفحصها من رأسها حتى أخمص قدميها. وقالت بينما كان مايزال يتفحصها: «اظنك راضياً عما رأيت.»

فمر بإصبعه على الدانتيلا المزين بحجارة الماس، ثم قال: «إنني اكثر من راضٍ. وربما نسيت كل شيء عن الحفلة لأبقى معك هنا.»

فقالت مستنكرة: «ولكننا... لا يمكننا ذلك. فقد قلت بنفسك أن شركتك هي الراعية الرئيسية لهذا الاحتفال.»

فأجاب: «وهذا يعطيني الحق في الاختيار بين الحضور أو عدمه.» وأرسل كلامه هذا رجفة خوف وتوجس في كيانها. لقد أدركت الآن أنها إنما اختارت هذا الثوب بغرض التمرد أو التحدي. فكيف أمكنها أن تكون بهذا التهور؟

وقال: «عندي فكرة. أنتظري هنا.» فأطاعته حائرة رغم أن رغبة قوية في الهرب قد ساورتها. ما الذي يفكر فيه؟ ولكنه عاد قبل أن يستعرض ذهنها كل الامكانيات.

ومد يده إليها بعلبة مخملية قائلاً: «ضعي هذه.»

ففتحت العلبة بأصابع مرتجفة، ليصافح عينيها قرطان ماسيان بشكل الدموع يتألقان على الساتان الأسود.

وقالت وقلبها يخفق: «لا أستطيع. إن هذا كثير عليّ.»

فقال: «حتى ولو كانت من خطيب محب؟»

لو أنها فقط كانت من خطيب حقاً، لكانت هذه هدية شخصية تحتفظ بها العمر كله. وشعرت وكأن كلماته تسخر من هذه الفكرة بالذات.

وقالت: «كلا. لا أستطيع قبولها.»

فقال: «إن القرطين والثوب متلائمان جداً، فإما أن تلبسي الجميع، أو لا تلبسي شيئاً اطلاقاً. فاختاري لنفسك.»

فهبت تقول بعنف: «انك تستحق أن أصرّ على الذهاب إلى الحفلة بثيابي العادية.»

فقال: «حاولي ذلك وسترين أنك لن تستطيعي تجاوز عتبة الباب.»

فاهتزت يدها ليسقط القرط من يدها وهي تحاول وضعه في أذنها، فالتقطه عن الأرض ثم مدّ يده قائلاً: «اسمحي لي بالقرط الآخر.»

وعندما ألبسها القرطين أحست بالحنين إليه، وجعل هذا الشعور غير المتوقع عينيها تغرورقان بالدموع.

كان عليها أن تتوقع أنه سيرى دموعها تلك وقال يستفزها: «هل خاب أملك لأننا سنذهب إلى الحفلة؟»

وأعادتها كلماته هذه إلى واقعها، فردت عليه بحدة: «كلا طبعاً. كلما أسرعنا بالانتهاء من هذا كان ذلك أفضل.»

فالتقط حقيبة يدها النفيسة والتي كانت ملحقة بالثوب، ثم ناولها إياها قائلاً: «أنا متفق معك في هذا تماماً، انما لأسباب مختلفة.»

أما هذه الأسباب، فبامكانها التكهن بها، ولكنها لم تكن من الغباء بحيث تسأله عنها.

وكان البعض من أصحاب المع الأسماء في مجال

الموسيقى في العالم، يترجلون من سيارات الليموزين ليسيروا على السجادة الحمراء نحو الفندق، بينما كانت الشرطة تصدّ عنهم أمواج الجمهور المتشوق لرؤيتهم.

بد أن جو قد أوصلت الآن سوزي إلى المسرح لتأدية دورها في احتفال الليلة. وتمنت بيني لو تبتعد عن هذا الأمر كلياً، ولكن ريد كان قد أوضح لها أن سوزي بحاجة إلى مساندتها. ولاحظت انه لم يقل انه هو الذي كان بحاجة إليها. على كل حال لم يكن أمامها من خيار سوى أن تواصل هذا حتى النهاية.

ونزلت من السيارة الليموزين يتبعها ريد لتنكشف أمامهما أضواء الكاميرات، وشعرت بتأبط ذراعها وهو يهمس في أذنها: «انت تبدين رائعة.»

واستمدّت منه ثقة بنفسها، فاستطاعت أن تبتسم أمام الكاميرات التلفزيونية، بينما كانت الأصوات حولها تتابعها: «انه ريد براندن وخطيبته.»

واهتزت زهواً وهي ترفع بصرها إلى وجه ريد الوسيم تلبية لطلب من مصور. وأومض ضوء الكاميرا وانطبعت صورة جانب وجهه في قلبها. لماذا لم تلحظ من قبل تلك الغمازة التي تبدو في ذقنه عندما يبتسم؟ أو مبلغ سواد حاجبيه اللذين يعلوان تلك العينين العميقتين الأخاذتين؟

فيما بعد، في ساعات الصباح الأولى، سيتوجهان من قاعة الاحتفال إلى جناح خاص بهما في الطابق الأعلى من هذا الفندق. وأرسلت هذه الفكرة رجفة في أعماقها.

وازعجها هذا الشعور إلى حد لم تشعر معه بأنهما قد أصبحا الآن داخل قاعة الاحتفال في مأمن من المضايقات.

كان كل شخص يريد أن يتكلم إلى ريد ولكنه أبقاها إلى جانبه. أما هي فقد كانت تعرف القلة من هؤلاء الناس، بعضهم من دنيا الاعلام، ألويس غادا الذي ابتسم راضياً لدى ظهورها بالثوب الذي صممه، والأقل رضى منه وهي تونيا ريغ، التي تمتمت لدى مرورهما من أمامها، تقول: «ان أعمال النسخ مربحة جداً هذه الأيام إلى درجة محيّرة.»

فردت عليها بيني بابتسامة جافة: «وأنا مسرورة كذلك لرؤيتك يا تونيا.» وكانت واثقة من أن تلك المرأة قد شاهدت غادا يحييها منذ لحظات مما لم تجد معه حاجة للدفاع عن نفسها. وتابعت تقول لها: «كيف حالك؟»

فابتلعت تونيا جرعة من شرابها وهي ترد عليها قائلة: «وكيف سيكون حالي، انني هنا مع جيم كارينجتون صاحب تسجيلات كارينجتون. انه متلهف لكي يحظى بي كمساعدة شخصية له.» وأطلقت ضحكة قصيرة ثم تابعت تقول: «متلهف لأن يحظى بي بشكل منتظم.»

وشعرت بيني بالإرتياح عندما ناداها ريد ليقدمها إلى بعض أقطاب الصناعة. ذلك أن تصرفات تونيا كانت من الاضطراب بحيث لن ينفع شيء في تهدئتها.

وأذيعت الجوائز في التلفزيون بين الاعلانات التجارية والعروض الموسيقية لصغار النجوم. وكانت سوزي بين المجموعة الأخيرة التي تقدم العروض، وفي هذه الأثناء، كان الصخب قد ازداد وكذلك التدخين، ولكن بيني لم تهتم لذلك والفرح يهزها وهي ترى سوزي تعتلي خشبة المسرح وقد بدت في بقعة الضوء، كالعروس في ثوبها الأبيض الذي يصل إلى الأرض.

وقبل أن تبدأ اداءها، أخذت عيناها تبحثان عن خالتها بيني وكأنما تستمدّ منها الثقة. ورفعت بيني يدها مشجعة، عند ذلك رفعت سوزي رأسها، ثم انحنت تتناول الكلارينيت، ومن ثم انطلقت معزوفة موزارت الشجية تملأ أجواء القاعة.

وأخيراً، قررت بيني أن هذه الليلة الرائعة تستحق كل ما عانته منها. ذلك أن عزف سوزي قد استولى على مشاعر المستمعين. لقد كان ريد على حق. فهي تستحق هذه الفرصة وكل ما قد يلي ذلك من فرص.

وتوهج وجهها الصغير إزاء تصفيق الإستحسان الذي تصاعد وهي تنزل الآلة الموسيقية. وبحركة رشيقة، إنحنت أمام الحضور كأي ممتهنة خبيرة، ثم اختفت خلف الستائر.

وتحركت بيني ولكن يد ريد شدّت ذراعها قائلاً: «إبقي مكانك.»

فقالت وهي مازالت تشعر بالأثر الذي أحدثته الموسيقى في مشاعرها: «لقد جئت لأجل سوزي. ولا بد أن أذهب إلى خلف المسرح لأهنئها.»

فقال: «يمكنك ذلك فيما بعد أثناء العشاء. إذ من المؤسف، بالنسبة إليك، أن لا تشاهدي بقية البرنامج.»

فتساءلت ثائرة عما يهمها بعد عرض سوزي، ذلك أن صداعها قد اشتد، كما أنها أدت واجبها بالوقوف إلى جانبه حتى الآن، وكما أنها أيضاً لم تخيب أمل سوزي بها، فلماذا يصر عليها بالاستمرار في حضور الحفلة إلى نهايتها المرة؟

وعلى الفور، وجدت الجواب.

ذلك أن ريد قد استدعي مرتين إلى المسرح، الأولى لكي

يسلم بيده إحدى الجوائز، والمرة الثانية لكي يتلقى الشكر على مساهمته في الانتاج والنشاطات الموسيقية.

هل هذا ما كان يريدها أن تراه؟ لكي يعود فيذكرها مرة أخرى بخسارتها الفادحة؟ إذا كان هذا هو غرضه، فقد نجح فيه تماماً. وشعرت، وهي تراه يتوجه نحو المسرح، برغبة في التملك، ما أذهب بصداعها ليتحول الألم إلى قلبها. وشعرت بضيق في أنفاسها. كانت تدرك تماماً أنه ليس ناتجاً عن جو القاعة الخانق. ودون وعي منها، وجدت نفسها تشارك الحضور في الوقوف والتصفيق. ما الذي يجري؟

واستقرت بقعة الضوء على وجهه تبرز معالمه الخشنة الفياضة بالرجولة. وملأ قلبها الزهو، رغم محاولتها إخفاء ذلك. لقد بدا رائعاً حقاً والضوء الذهبي يغمره، وكتفاه العريضتان تبرزهما حاكتة العشاء المتقنة التفصيل. وعندما اقترب من الميكروفون، ران الصمت العميق على القاعة، وحبست هي أنفاسها.

كان حديثه بسيطاً مليئاً بالرصانة والوقار وهو يشكر أعضاء اتحاد شركات الانتاج الموسيقي للوسام الذي قلدوه إياه. ومالبث مقدم البرنامج أن انحنى عليه يهمس شيئاً. فهز ريد رأسه. وعلى الفور، صعدت فتاة حسناء كان واضحاً أنها سبق وأعدت لهذا الأمر، صعدت إلى المسرح حاملة آلة الكلارينيت الموسيقية.

وتصاعد التصفيق من المستمعين وقد أدركوا ما كان همس به المقدم من إقناع ريد بأن يسمعهم شيئاً من موسيقاه. وأخيراً، مد يديه متقبلاً آلة الكلارينيت ثم تقدم من

الميكروفون. وجالت عيناه في أنحاء القاعة إلى أن استقرتا على عينيها، ثم ابتدأ يتحدث، فقال: «إنني أحب أن أهدي هذه المعزوفة إلى السيدة الرائعة الجمال التي وافقت على أن تكون زوجتي. لأجلكم جميعاً، وخاصة لأجل بينيلوب، أقدم مقطوعة اندريتي.»

وعاد المستمعون إلى مقاعدهم وهم يعاودون التصفيق، وبعد ذلك ابتدأت الموسيقى. وتجاوبت الأنغام لترتفع ثم ترتفع وكأنها أمواج متدافعة من المحيط.

وتناوب الألم والبهجة في أعماقها والموسيقى تخاطب روحها. وتجمعت الدموع خلف جفنيها المغمضين. لماذا اختار أن يقدم هذه المقطوعة بالذات؟ هذه المقطوعة التي نفذت حلاوتها المرة إلى الأعماق منها؟ هل هذا ما ارادها ان تبقى لأجله؟

لو أنه فقط لم يعزف هذه المقطوعة تكريماً لحب لا وجود له. لا وجود له بالنسبة إليه هو على الأقل، والذي زاد من حجم الصدع الموجود بينهما.

وعندما عاد إلى مائدتها وسط عاصفة من التصفيق، كان التوتر الذي بها قد استحال إلى صداع نصفي أوهن منها القوى. وتجمعت الدموع في عينيها عندما انحنى ريد وقبّل يدها، كانت هي واثقة من أنه مجرد تظاهر منه أمام الجموع التي حوله.

وقالت له بإخلاص: «لم اسمع في حياتي قط موسيقى أجمل مما سمعت الآن.»

فقال: «لقد كنت أريد أن اسمعها لأناس أقل من هؤلاء. انك تعلمين سبب تقديمي لها، أليس كذلك؟»

وكانت هي تعلم السبب الذي تريده أن يعطيه، ولكنها كانت تعلم أيضاً أنها تتمنى المستحيل. وقالت: «إنها تبدو لي موسيقى رجل كان بعيداً عن استراليا مدة طويلة.» وكان صوتها وهي تقول ذلك، رقيقاً هادئاً.

فقال وهو يطيل النظر إليها متفحصاً: «مدة طويلة للغاية.»

وما لبث توزيع بقية الجوائز أن صرفهما عما هما فيه، وفي النهاية خمدت أضواء كاميرات التلفزيون، وصار باستطاعة كل شخص أن يرتاح مسترخياً، وانضم إليهما جو وسوزي لفترة، وقد غمرت التهاني سوزي من القريب والبعيد. وساور بيني شعور بأن على ابنة أختها ان تعتاد هذا الشيء.

وعندما أعلنت جو أن الوقت قد حان لتعود إلى بيتها مع سوزي تمنت بيني من صميم قلبها لو أمكنها العودة معهما. وكان صداعها يعذبها، وتمنت لو تذهب إلى أي مكان لتجلس بهدوء ولو لعدة دقائق.

وجاءت فرصتها لذلك عندما استدعي ريد إلى مائدة أخرى. عند ذلك، اعتذرت هي هاربة نحو استراحة السيدات. وكانت تضع على صدغيها ماءً بارداً علّه يخفف الصداع، عندما سمعت صوتاً مألوفاً يقول: «حسناً، ها هي ذي الآنسة سوليفان النزاعة إلى الأصطدامات، أرجو أن لا تقودي سيارتك بنفسك حين ذهابك الليلة إلى بيتك.»

وكان هذا تذكيراً قاسياً من تونيا بتلك الليلة التي خرجتا فيها معاً من إحدى الحفلات الموسيقية.

وأجابت: «كلا. إنني لن أقود السيارة لأنني سأبقى مع ريد هنا في الفندق هذه الليلة.»

وشعرت بالرضى وهي ترى الشحوب الذي كسا وجه تونيا، وهي تقول بعنف: «اتظنين أنك الرابحة؟»

فأجابت بيني: «إنها ليست منافسة بيننا، يا تونيا.»

فقالت تونيا: «كلا؟ لماذا يقال إذن إن الغنائم تذهب إلى المنتصر؟ أم أنك لا تعدين هذه الماسات التافهة غنائم؟»

وبدون وعي، مدت بيني يدها إلى أذنها تتلمس قرطها وهي تقول: «لقد أرادني ريد أن أضع هذين.»

فقالت تونيا: «أظنه أخبرك أنه اشتراها لك؟»

قالت بيني: «وهل هذا مهم؟»

فأجابت تونيا: «من المفروض أنها هدية لي، بمناسبة ذكرى مولدي. إسأليه إذا كنت لا تصدقينني.»

فانتصبت بيني واقفة وهي تهتز، ثم قالت: «إن هذا غير مهم، ما دمت أنا التي أتحلى بهما، أليس كذلك؟» ثم تركت تونيا لا تحير جواباً، وخرجت بقدر ما أمكنها من الرصانة والكبرياء.

لقد حدثت نفسها بأن سبب شراء ريد لهذين القرطين هو حقاً غير مهم ما دامت هي تعتبرهما إعارة لهذه المناسبة. فهي لا تنوي الاحتفاظ بهذه الهدية الثمينة ما دامت خطبتهما غير حقيقية. ولكن ما قالته تونيا بقي يحز في نفسها، مضيفاً المزيد للألم الذي مازال ينبض دون شفقة في صدغي بيني.

وعندما عادت إلى ريد، سألها: «تبدين شاحبة اللون، أتريدين أن نترك الحفلة؟»

فأجابت: «ولكنك ضيف الشرف هنا، وليس بامكاني أن أطلب منك أن تترك الحفلة فقط لأنني أعاني من الصداع.»

فنهض واقفاً وهو يقول: «صداعك هذا يحسم الأمر، وسنصعد الآن إلى الطابق العلوي.»

ولكن خروجهما، استغرق وقتاً طويلاً حتى تمكنا من مغادرة القاعة، وذلك بالنسبة إلى كثرة المهنئين الذين كانوا يعترضون طريق ريد.

وفي الوقت الذي وصلا فيه إلى جناحهما في الفندق، كانت بيني تكاد تغيب عن وعيها من الألم.

وقادها ريد إلى جناح في الفندق كانت تشرف على منظر المدينة في الليل أشبه بالجواهر المنثورة. وكانت حاجياتها قد وضعت إلى جانب خزانة كبيرة. واستدارت هي إلى حقيبتها تفتش عن قميص نومها وهي لا تكاد تبصر شيئاً.

وقال لها: «إنك لا تكادين تستطيعين الوقوف على قدميك، دعيني أساعدك.»

وبرقة زائدة كادت تحملها على البكاء، ساعدها للوصول إلى السرير.

وتركها لحظة، كانت خلالها قد غيرت ملابسها ولبست قميص نومها، عاد بعدها، حاملاً كوباً يحوي سائلاً يفور، وهو يقول: «إنه أسبرين فوّار.» ثم أدنى الكوب من شفتيها.

وتساءلت، وهي تشعر بكل ذلك الارتياح، ما إذا كانت تحلم. طبعاً إن ريد لم يترك هذه الحفلة المتألقة والتي كان هو نجمها دون منازع، إلا ليسهر على رعايتها، وخافت من أن تحلل طبيعة حركاته هذه رغم أنها كانت واثقة من أن لا دخل للحب فيها. وكان ما قالته تونيا مازال يحز في نفسها لينكرها بحقيقة العلاقات التي سبق وكانت بينهما هما الاثنين.

وسألها: «كيف أصبح الصداع الآن؟»

فتمتمت كالحالمة: «أحسن كثيراً.» كان من الصعب عليها أن تصدق ذلك. ولكن الألم المذهل كان قد تلاشى تقريباً.

غادر الغرفة ثم عاد يحمل بيديه كوباً وهو يقول: «أظن الحليب سيساعدك على النوم.»

فجلست تتناول منه الكوب وهي تقول: «شكراً.»

ومضت ترشف من كوبها وهي تشعر بحرقة في أعماقها. إن الاتفاقية بينهما قد قاربت النهاية، وربما هذه آخر ليلة يمضيانها معاً.

وعندما أخذ الكوب الفارغ من بين أصابعها المتراخية، تراجعت إلى الخلف لتريح رأسها على الوسادة.

اعترفت لنفسها بأنها تحب هذا الرجل. إنها ما زالت تحبه لأنها لم تتوقف قط عن حبه طيلة السنوات الماضية. إنها ترى هذا الآن بوضوح مذهل. إنها لم تعد تنكر ذلك بعد الآن.

منذ فترة قصيرة، كانت على استعداد للاحتفال بحريتها الوشيكة. أما الآن، فان فكرة العيش من دون ريد، تغرقها في مهاوي اليأس. لقد كان عرض عليها الزواج، وفي لحظة ضعف، فكرت في قبول هذا العرض ولو للاحتفال به بجانبها.

ولكن هذا لن يغيرها بشيء إذا لم يكن يحبها. أليست حياة والديها مثلاً لذلك؟ وكيف أن زلة واحدة كانت كفيلة بتخريب علاقتهما للأبد؟ ولوثوقها من مشاعرها نحو ريد، لم تجرؤ على المغامرة.

وذكرت نفسها بأنه مازال أمامها هذه الليلة، وكانت حلاوة اهتمام ريد تكاد تكون غير محتملة لأنها كانت تعلم أنها لليلتهما الأخيرة، وفتحت عينيها بصعوبة لكي تنهل من رؤيته، من رؤية عينيه، قامته ووسامته.

ولم تستطع أن تمنع دموعها من الانهمار على وجنتيها.

سألها: «أما زال الصداع سيئاً؟ كان عليك أن تخبريني.»

فأجابت: «كلا، إنه ليس الألم.» وأرغمت بصرها على التحول عنه. أتراه لا يشعر بكل هذا العذاب الذي تعانيه والذي هو فوق ما يمكنها احتماله؟ وحاولت أن توجه إليه سؤالاً تغير به الموضوع، فقالت: «أخبرني، متى كان ذكرى مولد تونيا؟»

فعبس وهو يقول ذاهلاً: «بعد يومين من استقالتها، لماذا؟»

إذن، فهذا يعني أن القرطين قد يكون سبق واشتراهما هدية لها. وحاولت بيني أن تحدث نفسها بأنها لا تهتم لذلك، ولكنها لم تنجح تماماً. وأخيراً قالت مصطنعة عدم الاهتمام: «إنه شيء سمعته أثناء تناول العشاء، إن هذا ليس مهماً.»

فقال لها: «إنني، كما لا بد لك أن تدركي، لا أعير تونيا لحظة من التفكير الآن.»

فقط، يا ليتها تثق بذلك، وقالت: «لقد استمتعت بالعرض الذي قمت به هذه الليلة.»

كانت تعني عندما اهتم بها أثناء صداعها. وتجاهل هو ما تعنيه، فأجابها بطريقتها مضمناً معنى مختلفاً لما يقول: «ولكن ذلك لا يقارن بطلب التكرار.»

لم ينتظر جوابها، بل استدار ليخرج من غرفتها وهو

www.rewily.com geqe86

يقول: «انا ذاهب إلى النوم في غرفتي. تصبحين على خير.»

وبعد أن خرج ريد من الغرفة، بقيت هي فترة طويلة مستيقظة، قبل ان تخلد إلى النوم.

وفي الصباح، بعد أن تناولا طعام الفطور وخرجا من الفندق، سألته وهما في طريقهما الى كانغالوما: «هل لديك عمل هذا النهار؟»

كانت أوقاته معها قد أصبحت قصيرة الآن بحيث أصبحت متلهفة إلى كل دقيقة منها، لماذا وافقت على موعد إنهاء الاتفاقية؟»

وأجابها بما يشبه الأسف: «أخشى أن يكون الأمر كذلك. لدي اجتماع هام هذا الصباح، ولكن بإمكاني الانتهاء منه عند موعد الغداء. سنذهب إلى واطسن باي حيث نتناول الغداء على الشاطىء.»

لو أنه اقترح أن يذهبا إلى البرية حيث يجلسان على الحشائش، لقبلت هي بذلك فقط لكي تطيل من أمد بقائها معه. ولكنه اختار الذهاب إلى ذلك المطعم المشهور لكي يراهما الناس معاً، وقالت توافقه، محاولة أن تبعد معنى تحركاته عن ذهنها: «إنني سأحب ذلك، فهو سيكون غداء وداعياً.»

فبدا عليه الهدوء وهو يقول: «كيف يكون ذلك؟»

فقالت متظاهرة بالمرح حتى لا يرى كم كلفها قول هذا: «بعد أسبوع، سيكون كل هذا خلف ظهرنا، هل فكرت في الكيفية التي ستعلن بها نبأ فصم خطبتنا؟»

فسألها: «هل أنت متشوقة حقاً للانتهاء من هذه الخطبة؟» كان في صوته نوع من الضعف جعلها توشك على البكاء،

وهي تحدث نفسها، لست أنا. ليس هذا ما أريده أبداً. وأجابته قائلة: «ظننت أن هذا ما تريده أنت. وهذا ما اتفقنا عليه، أليس كذلك؟»

فأجاب: «نعم، هذا صحيح.»

وهتفت في أعماقها قائلة، أخبرني أنك لم تعد تريد هذا. أخبرني أن موعد فراقنا كان غلطة هائلة ويمكننا أن نلغيه. ولكنه بقي صامتاً بقية الطريق.

وبقلب لواه الألم، ألقت بالتحية إلى متعهد البناء الذي أصبح الآن في معالم المنزل تقريباً. وقال لها، ببشاشة: «لقد انتهينا تقريباً، يا سيدتي.» ولم يكن يعرف أن كلماته هذه كانت تعجل في تحطم قلبها.

ووجدت رسالة تنتظرها على منضدة في القاعة، ففتحتها دون اهتمام. وكانت تحمل شعار مكتب قانوني معروف.

وسألها ريد بعد ان رآها تشهق: «هل ثمة مشاكل؟»

فحولت إليه عينين تلمعان وهي تقول: «يمكنك أن تعتبر الأمر كذلك، إنها من أندرو زوج جو عن طريق محاميه. لا بد أن جو قد أخبرته عن خطبتنا، وهو يقول الآن إنني لم أعد بحاجة إلى السكن في البيت حسب الشروط التي وضعها والدنا لهذا الارث. هل أنا مضطرة، قانونياً، إلى بيع المنزل لكي اعطي جو حصتها منه، كما يدعي هؤلاء؟»

فأخذ الرسالة من يدها المرتجفة، وأخذ يتفحصها بسرعة بوجه عابس، ثم قال: «إن الكلمات المتراخية لهذه الوصية هي كما كان أبوك دوماً، قابلة للتصدي. وإن محامياً ماهراً يمكنه أن يجعلها قضية.»

فقالت: «ولكنهم استعجلوا بذلك، فأنا لا أملك نقوداً كافية لشراء حصتها، وأنا لا يمكنني أن أقاضي أقاربي أمام المحاكم. إن عليّ أن أرى جو واجعلها تخبر أندرو أنه مخطىء، وأننا لسنا مخطوبين حقاً» وأمسكت بذراعه تقول: «عليك أن تخبرها بالحقيقة.»

فهز رأسه قائلاً: «إن هذا لا يفيد بشيء، لأن الحقيقة هي... إنني أريد الزواج منك.»

الفصل العاشر

وتملكها الرعب، هل هو حقاً يريد المنزل إلى هذا الحد الذي يرغمها معه على البيع؟ وقالت له وهي ترتجف: «إنني لا أصدقك، وإذا أنت لم تخبرهم بالحقيقة، فسأخبر أنا جو بنفسي، ولا أظنها بحاجة إلى المال حقاً.»

فأمسك بمعصمها بقبضة من حديد وهو يقول: «بل هي فعلاً بحاجة إلى المال.»

فسألته: «ماذا تعني؟»

فأجاب: «لم أشأ أن أكون الشخص الذي يخبرك، ولكنك تدفعيني إلى ذلك. إن بعض شركائي في العمل يعمل مع زوج جو. وقد اخبرني انه على شفا الافلاس.»

فقالت: «ولكن تلك الرحلة إلى الخارج...»

فقاطعها قائلاً: «لا شك أن جو كانت تعتقد أن تلك الرحلة ما هي إلا لأجل المتعة، وحسب ما قاله لي من أخبرني بالأمر، فهي لم تكن إلا مهرباً لزوج أختك مما يواجهه هنا. ولا يبدو أنه سيعود.»

فتهالكت على كرسي تدفن وجهها بين يديها. لقد شعرت بالذنب إذ كانت دوماً تحسد أختها على سعادتها هذه، رغم انه من غير الممكن أن يكون حسدها ذاك قد أثر على الوضع. قالت: «إن ما يحزنني هو أنني كنت أظنها تملك كل شيء.. زوجاً محباً، إبنة جميلة... لم يخطر لي قط...»

فقاطعها قائلاً: «لم يخطر ذلك ببال أحد، وخاصة أختك.»

وهذا يجعل من السهل فهم تصرف أندرو هذا. أليس كذلك؟»

وفكرت هي بأنه أصبح أسهل بالنسبة إلى فهم الآخرين له وليس إلى احتماله. حسناً، لقد أسدى ريد إليهم جميلاً دون قصد، على كل حال، ذلك أنه بجعله المنزل أغلى ثمناً، قد ضمن أختها حصة أكبر، لأن بيني قد صممت على قسم المال الناتج عن البيع مناصفة، وهل يمكنها غير ذلك وأختها في هذا الوضع؟

وقالت وهي تقف: «إنني ذاهبة لرؤيتها.»

فقال: «هل تريدينني أن أحضر معك؟»

كانت تريد من كل قلبها أن تقول نعم، ولكنها هزت رأسها نفياً. ذلك أنه مهما كان لوجوده معها من تعزية وسلوى لها، فهي ستدفع ثمن ذلك غالياً عندما يفترقان إلى الأبد. أما الآن، فحتى بيتها لن يكون مصدر عزاء وسلوى لها. كل شيء سيذهب. وقالت تجيبه: «لقد أخبرتني أن لديك اجتماعاً مهماً، وهذه شؤون عائلية.»

فقال: «هذا طبيعي.» وجعلها جوابه المغتصب هذا، لتدير عينيها إليه متسائلة، ولكن وجهه كان كحجر الصوان. وتابع قائلاً: «إذا كان هذا ما تريدينه.»

كلا، ليس هذا ما تريده، لقد كانت تريد أن تصرخ. أن تقول له إنها تريد منه أن يخبرها بأنه يحبها، وأن كل شيء سيكون على ما يرام، وأن عالمها لم يتساقط منهاراً، وأنها لن تعود إلى حياة هي أكثر وحدة ووحشة، مما كانت عليه.

ولكنها لما أدركت عدم جدوى أفكارها هذه، تكلفت ابتسامة باهتة وهي تجيبه: «نعم، هذا ما أريده.»

ودهشت وهي تراه يمسكها بكتفيها يجرها إليه بسرعة،

وكانت حركته هذه من السرعة بحيث كان عليها أن تستجمع مشاعرها لحظة بعد أن أبعدته عنها. وكان كل ما قاله لها قبل أن يتركها ويبتعد، هو: «سأراك في موعد الغداء.»

نظرت جو إلى بيني وكانت تقف عند الباب، بحذر وهي تقول: «أظنك استلمت رسالة من محامي أندرو؟»

فدخلت بيني وهي ترى الفوضى في المكان، والذي لم يكن من عادة أختها. فقد كانت على الأريكة علبة كبيرة من المناديل الورقية التي استعمل بعضها حتماً لمسح الدموع.

وقالت بيني: «إنني أعرف السبب في عمله هذا.»

فتاهت نظرات جو وهي تقول: «إنك إذن تعلمين أن أندرو قد لا يعود أبداً. إن أعماله تواجه مشكلات صعبة للغاية.»

وذاب قلب بيني ألماً لأجل أختها التي كانت دوماً بالغة الثقة بالنفس، بالغة الاطمئنان، فأصبحت تبدو الآن مخلوقة ضعيفة كبيرة السن، وسألتها: «هل كنت تعرفين ذلك عندما عدت إلى استراليا؟»

فأجابت: «لم أشأ أن أقتنع بذلك. ولكنه كان واضحاً عندما رفض اندرو أن يعود معي إلى الوطن، وذلك عندما قرأ تلك القصة عن سوزي. لقد بدا أنه لم يعد يهتم بشيء.»

واغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول: «آه، يا بيني، ماذا سأفعل؟ إنني مازلت أحبه بكل قواي ولكنه لا يسمح لي بأن أساعده. حتى ما أخبرته به عنك وعن ريد لم يمنحه أي أمل.»

فقالت بيني وهي تقاوم شعورها بمثل طعنة السكين في فؤادها: «إن المنزل، بعد اصلاحه الآن، سيأتي بثمن جيد.

وثمن حصتك سيمنحكما مبلغاً طيباً تبدآن به من جديد.»

وكانت النظرة الحزينة الشاكرة المثيرة للمشاعر التي رمقتها بها جو خير مكافأة لها على تضحيتها هذه. وقالت جو: «هل ستكونين بهذا الكرم بالرغم من أن زوجي هو الذي سيرغمك على بيع هذا المنزل الذي تحبينه كثيراً؟»

فأطبقت بيني شفتيها بحزم وهي تقول: «إنه لم يرغمني على فعل أي شيء، إنني أنا التي أريد أن أساعدكما.»

وفجأة، كانت الواحدة منهما بين ذراعي الأخرى، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تحتضنها فيها جو منذ كانت فتاة صغيرة. وشعرت بيني ببهجة لذلك رغم أنها كانت تتمنى لو أن هذا العناق كان لمناسبة أسعد من هذه. وقالت جو وهي تشهق باكية: «لا أستطيع تصديق ما حدث. فقد كنت أظن أن العالم كله ملك يدينا أنا وأندرو.»

فسألتها بيني: «وهل أخبرت سوزي بذلك؟»

فأجابت: «لقد كنت أحاول استجماع الشجاعة لذلك، إنها لا تعلم أن أباها لن يعود.»

وتصاعدت صرخة ألم عند الباب: «إنني لا أصدقك. إن هذه كذبة سافلة.»

واستدارت بيني لترى سوزي واقفة عند الباب، وقد علمت من ذهولها وشحوب وجهها بأنها سمعت كل شيء. وتابعت هذه تقول لأمها: «إنه ذنبك أنت. إنك أنت التي أرغمته على الرحيل دون أن تخبريني. حسناً، سأرحل أنا أيضاً، إن أسرتي على وشك الانهيار.»

فقالت الأم بصوت هامس: «كنت سأخبرك، صدقيني، إنني أحبك.»

فبدا التمرد على وجه سوزي، ولكن شفتيها ارتجفتا وهي تقول: «لا تحدثيني عن الصدق. لقد كنت تقولين انك تحبين أبي ولكنك تريدين الآن أن تتخلي عنه. فكيف بامكاني تصديقك عندما تقولين إنك تحبينني؟»

واستدارت خارجة صافقة الباب خلفها. وقالت بيني لأختها تستحثها: «إذهبي خلفها.» ولم تضع جو لحظة، فركضت خلف ابنتها. وجلست بيني وحدها في غرفة الجلوس وهي تمد يدها إلى علبة المناديل تأخذ واحداً تمسح به دموعها.

وعادت جو بعد ذلك بدقيقة وقد بدا عليها الشقاء، وهي تقول: «لقد تركت المنزل يا بيني. فأنا لم أجدها في أي مكان، أين تظنينها ذهبت؟»

وتصاعد رنين الهاتف، فتناولت جو السماعة وقد شحب وجهها، ولكن المتكلم لم يكن سوزي.

قالت جو وهي تضع السماعة: «إنه اندرو يتكلم من المطار. آه يا بيني ها قد عاد إلى الوطن رغم كل شيء.»

وكان صوتها يرتجف من التأثر وقد اغرورقت عيناها بالدموع وهي تتابع قائلة: «علي أن أعثر على سوزي الآن لأخبرها بأن كل شيء سيصبح الآن على ما يرام.»

وكانت بيني تكاد تبكي هي الأخرى، وهي تقول: «كم أنا سعيدة لأجلك يا أختاه. كل شيء سيصبح الآن على ما يرام. وسنعثر على سوزي فلا تقلقي. حاولي أن تتصلي بكل بيوت أصدقائها، فقد تكون ذهبت إلى احداها.» وخطرت ببالها فكرة، فقالت: «قد تكون ذهبت إلى ريد فهو دوماً كان صديقاً طيباً لها.»

فقالت جو: «هل أتصل به؟»

فأجابت بيني: «كلا، اتصلي أنت بأصدقائها، وسأذهب أنا إلى مكتبه، فاذا كانت هناك فسنعيدها إلى هنا مباشرة.»

وكانت نظرة جو إليها تمزق الفؤاد وهي تقول: «شكراً يا بيني. لا أستطيع أن أحتمل أي شيء يحدث لها في الوقت الذي يبدو فيه أن كل شيء سيعود إلى ما يرام كما كان.»

فقالت بيني تؤنبها: «طبعاً لن يحدث لها شيء.»

ولكنها كانت ترجو في قرارتها، أن يكون الأمر كذلك حقاً، وشعرت فجأة بأنها في حاجة إلى قوة ريد وهدوئه عند المصاعب. إنها حقاً في حاجة إليه، وقالت: «من الأفضل أن أذهب.»

وعندما سألت عنه في مكتبه، قالت لها مساعدته الجديدة إنه في شقته في أعلى البناية، ولما سألتها إن كان لديه زواراً، أجابت بأن عنده سيدة فعلاً.

إذن، فقد جاءت إليه سوزي. وشعرت بيني بالارتياح مع شيء من الضعف، ومن ثم أسرعت إلى مصعده الخاص.

ولكنها لم تكن سوزي تلك التي فتحت لها الباب. لقد كانت تونيا... وكانت تبدو، كالعهد بها دوماً، مذهلة الجمال والأناقة في تنورتها السوداء وقميصاً أبيضاً. وعندما رأت ما بدا على وجه بيني من ذهول، رفعت حاجبها المرسوم كخط القلم وهي تقول: «لا تدهشي هكذا. لقد سبق وحذرتك من أنني سأعود.»

إذن، فهذا هو الموعد المهم الذي كان ريد يحرص عليه. وتسرب القنوط إلى نفس بيني، ذلك أن هذا الاكتشاف سبب لها من الألم مالا طاقة لها باحتماله. هل يحدث هذا بعد كل

ما جرى بينهما... والذي كان فقط في ساعات هذا الصباح الباكر؟ ولم تستطع أن تصدق أن ريد قد عاد إلى تونيا بهذه السرعة.

والذي آلم بيني أكثر، هو كونها كانت مجرد وسيلة لتحقيق رغبة من جهة، وللوصول إلى الغرض المقصود وهو كانغالوما.

واستجمعت قوة إرادتها لتتمكن من مواجهة نظرات تونيا قائلة: «إنني بحاجة إلى رؤية ريد، وقد أخبروني أنه هنا.»

فأجابت هذه ببطء وتكاسل وهي تتظاهر بالتفكير: «إنه في الغرفة الاخرى، ولا أظنه يهتم بمقابلتك حالياً.»

ربما كان هذا صحيحاً، ولكنه لن يمنعها من طلب العون منه. وحاليا كان مصير سوزي أهم عند بيني من مشاعرها الخاصة والتي سيكون لديها ما يكفي من الوقت للنظر في أمرها فيما بعد.

وقالت تجيبها بحزم كمن لم يعد لديه ما يخسره: «لا بأس، إنني مصممة على مقابلته. وكل ما عليك أنت هو أن تختاري، إما أن أمر بجانبك إلى الداخل أو من فوق جسدك.»

ويظهر أن تونيا أدركت أن الحذر هو الأفضل فتنحت جانباً لتسمح لبيني بالدخول. وتقدمت تونيا نحو حقيبة يدها المتدلية من ظهر كرسي كان عليه عدة ملفات، وهي تقول: «إنني كنت على وشك الخروج، لحسن الحظ.»

«من هذا يا تونيا؟»

وشعرت بيني بقلبها يكف عن الخفقان وهي ترى ريد يدخل إلى الغرفة. كان ما يزال يرتدي نفس البنطلون

الكتاني ذا اللون البني الفاتح الذي كان يرتديه هذا الصباح، ولكنه كان في القميص القطني الداخلي وكان يضع منشفة على كتفه. وكان يتمتم: «إنني لم أستطع إزالة هذا الشيء عن القميص.» ولكنه جمد في مكانه عندما وقع بصره على بيني. وومض شيء في عينيه ما لبث أن تلاشى، لتعود نظراته عادية وهو يقول: «مرحباً يا بيني. لقد جئت مبكرة.»

وحاولت أن تهدىء من ضربات قلبها التي تسارعت لرؤيته. وقالت بسرعة: «من الواضح إنني مبكرة تماماً. ولكن لا تظنني أقحم نفسي، فما جئت إلا لأرى إن كنت سمعت شيئاً عن سوزي.»

فانتبه حالاً وسألها باهتمام: «ماذا حدث؟»

فأجابت: «لقد سمعت أمها تخبرني عما حدث لأبيها. لقد عاد وهو في طريقه إلى المنزل من المطار. ولكن سوزي لم تنتظر لتسمع بقية الحديث، فهربت من المنزل في حالة مريعة.»

فقال: «إنها لم تصل إلى هنا. وتونيا وصلت منذ دقائق قليلة فقط. هل رأيتها في طريقك إلى هنا، يا تونيا؟»

وتوهجت شعلة من الأمل في أعماق بيني سرعان ما أخمدتها. وماذا يهمها من موعد وصول تونيا؟ فإن منظره هكذا يوضح ما قد يكون حدث بعد ذلك.

وأجابت المرأة الأخرى: «كلا، إنني لم أرها.»

فقال: «هل حصلت على الملفات التي أردتها؟»

فأومأت بالإيجاب، فعاد يقول: «هذا حسن. كنت أعلم أنك ستعودين لأجلها، ولهذا أحضرتها معي إلى هنا لتكون في مأمن، هل هناك أي شيء آخر؟»

كان من الواضح أنه كان يطردها طرداً، ماجعل بيني تشعر بفيض من الرثاء لها. هل كانت مخطئة بالنسبة لظنها ذاك عن الوضع بينه وبين تونيا؟ يبدو ذلك.

أجابت تونيا: «كلا، ليس هناك أي شيء آخر، إنني ذاهبة. يمكنك أن تجرب عصير الليمون لإزالة تلك البقعة التي على قميصك.»

وعلقت حقيبتها بكتفها، ووضعت الملفات تحت إبطها، ثم استدارت خارجة متمتمة بتحية الوداع بصوت لا يكاد يسمع، ومن ثم أغلقت الباب خلفها بكل هدوء.

وعقدت بيني ذراعيها فوق صدرها وهي تسأله: «ما هي تلك البقعة التي يزيلها عصير الليمون؟»

فأجاب: «إنها بقعة حبر من ذلك الكمبيوتر، وقد لطخت قميصي.» وعبس وهو يتابع كلامه: «لقد صعدت إلى هنا لتغييره عندما حضرت تونيا لتأخذ ملفات الضرائب التي تخصها شخصياً.»

فقالت بيني: «فهمت.»

فنظر إليها بإمعان قائلاً: «لا يبدو عليك السرور لرؤية تونيا هنا.»

فحاولت أن تتخلص من الجواب بقولها: «هذا ليس من شأني.»

فمد أصابعه يرفع وجهها إليه وهو يقول: «وهكذا، لم تهتمي أبداً لما كنا نفعل؟»

ولكن ما كان يدور بينهما من قبل، لم تعرفه الآن فقط... إنما الاعتراف بهذا سيفضح مشاعرها، وهكذا أسبلت أهدابها الطويلة، تغطي بها الحقيقة التي كان سيقرأها في

عينيها، وهي تجيبه قائلة: «إن ذلك لم يعد يهم الآن، أليس كذلك؟»

فقال: «هل أنت واثقة من ذلك، يا بيني؟»

ولم تكن هي واثقة من أي شيء بعد الآن ما عدا أنها تحب هذا الرجل أكثر من نفسها، وكان حتى التفكير في هذا، جنوناً منها إذ لم يكن فيه أي فائدة، ولكن يبدو أنه لم يكن في إمكانها، التوقف عن ذلك.

ولم يمنعها من الاندفاع إليه، والاعتراف له، بكل حماقة، بكل شيء، لم يمنعها من ذلك سوى الرجوع إلى سبب وجودها هنا، وقالت تذكره بصوت أجش: «سوزي، علينا أن نعثر عليها. إن أمها تكاد تجن من القلق.»

وبدا عليه أنه يحاول استعادة ذهنه، فسألها قائلاً: «هل اتصلت جو ببيوت أصدقاء ابنتها؟»

فقالت: «لقد كان ذلك أول ما فكرنا فيه، ثم فكرت أنا بك.»

فسألها بحدة: «ومدرستها؟»

فعضت شفتها قائلة: «إنه يوم عطلة عامة. والصفوف مقفلة، فلماذا تذهب إلى هناك؟»

فقال: «إن لديها سجايا الموسيقيين. وسنجدها حتماً هناك، في الاستديو تنفس بالموسيقى، عن أحاسيسها المتألمة.» وألقى عليها نظرة عميقة وهو يقول: «من الممكن أن تكون الموسيقى أحياناً، متنفساً في متناول اليد، للمشاعر عندما تدلهم الأمور.»

فقالت: «أرجو أن تكون على صواب.»

فقال وهو يتجه صوب الغرفة الاخرى: «وكذلك أنا. سأرتدي ثيابي ثم آخذك بسيارتي إلى المدرسة، فهي

أسرع، واتصلي بجو في نفس الوقت واخبريها أن توافينا إلى هناك.»

ففعلت كما قال، واتصلت بجو بأصابع مرتجفة. والتي قالت لها بصوت مرتجف: «لم يرها أحد طوال الصباح.»

وأخبرتها بيني برأي ريد وهي تختم حديثها بقولها: «إنني متأكدة من أنها بخير.»

www.rewity.com
gege86

الفصل الحادي عشر

خرج ريد من غرفته مرتدياً بذلة كحلية اللون فوق كنزة بيضاء مقفلة. وبدا مذهلاً يخطف الأنفاس بوسامته. وازدردت ريقها وهي تسأله: «هل أنت مستعد للذهاب؟»

فأجاب: «ساعة تشائين. وسأترك خبراً عنها في المكتب حين نزولنا فيما لو حدث وفكرت هي في الحضور إلى هنا في غيابنا.»

لقد واجها كل الاحتمالات، ومع ذلك كانت ما تزال تشعر بالضيق وهما يستقلان سيارته من الموقف تحت الأرض. وكان هذا بتأثير التوتر الذي تشعر به، عادة في حضوره.

وبقيت صامتة متوترة طيلة الطريق. إلى أن شعرت بالارتياح لدى مشارفتهما مدرسة سوزي.

كانت المدرسة مبنية على شبه مرج كبير، ولكنها تشترك في حدودها مع الطريق المخصص لسيارات الشحن. ووجد ريد بصعوبة، مكاناً يوقف فيه سيارته إلى جانب الطريق، ثم سارا عائدين إلى الطريق العام.

وهتف ظافراً وهو يمسكها من ذراعها: «تلك هي هناك.»

ونظرت بيني مجفلة إلى حيث كانت سوزي متجهة إلى المدرسة وهي تحمل صندوق آلة الكلارينيت في يدها، وكان وجهها الفتيّ ينطق بالتعاسة.

ونادتها بيني بلطف خوفاً من افزاعها: «سوزي.» ذلك أنها كانت تريد أن توقفها قبل أن تختفي بين مباني المدرسة المتشعبة المنافذ.

ورفعت الفتاة رأسها. ولكنها عندما رأت خالتها، هزت رأسها رافضة وهي تقول: «ابتعدي عني. لا أريد أن أتحدث إليك.»

وكانا من القرب منها بحيث استطاعا رؤية الدموع تبلل وجنتيها. وعادت بيني تقول: «إننا نعلم كم هذا مؤلم، يا حبيبتي، ولكننا كنا نبغي مساعدتك فقط.»

أجابت سوزي: «طبعاً، وذلك بتزويد أمي بالمال لإحداث الانشقاق في أسرتي.»

فصعقت بيني لما تسمع، وتملكها الارتياع لتفهم سوزي للوضع بهذا الشكل. وقالت مستنكرة: «ولكن الأمر ليس بهذا الشكل.»

وقال ريد بصوت رقيق: «إن أباك في طريقه إلى البيت في هذه اللحظة، وهو يريدك أن تكوني هناك في استقباله.»

فأجابت سوزي بصوت باك: «إنك تقول لي هذا فقط لتواسيني.» واستدارت نحو الرصيف مجتازة الباحة الخارجية للمدرسة، وهي تتابع قائلة: «لقد سمعت ما قالته أمي. وأنا أريد فقط أن تتركوني وحدي.»

واستدارت حول الزاوية محنية الرأس دون أن تنظر حولها. وتابعت إلى مكان العبور في نفس الوقت الذي كانت شاحنة تستدير فيه حول الزاوية.

وصرخت بيني: «سوزي انظري أمامك.» ولكنها عرفت أن صرختها جاءت متأخرة، فتسمّرت في مكانها برعب. كيف يستطيع أي انسان أن يمنع ما هو على وشك أن يحدث؟

إنه كابوس ذلك الحادث القديم، يعود مرة أخرى ولكنه

www.rewily.com gege86

الآن في وضح النهار. وعلا زعيق بوق الشاحنة حين رأى سائقها الفتاة في طريقه. ولكن صرير الكابح جاء متأخراً.

وفجأة، كان ريد يندفع بسرعة لم تكن هي تتصورها في إنسان لو لم تشاهدها بأم عينيها. ذلك أنه بسرعة البرق، وصل إلى سوزي ودفعها عن الطريق بقوة ساعده الهائلة. ومضت هذه منبطحة على الرصيف، وبعد ذلك بلحظات كانت الشاحنة تجتاز البقعة التي كانت هي واقفة عليها.

«ريد.» وانطلقت هذه الصرخة الممزقة من صميم كيان بيني وهي ترى ريد وقد قذفته الشاحنة متدحرجاً ليصطدم بشجرة قامت بجانب الطريق. لقد شعرت بهذه الصدمة في جسدها هي وهي تراه يسقط، فتنفجر دموعها تحجب عنها رؤيته.

وأخذت تتمنى من صميم قلبها، أن يكون بخير. وفي اللحظة التالية كان ينقلب على جانبه. وكانت سوزي قد وقفت على قدميها تلملم حاجياتها، وقد بدا عليها الخوف ولكن دون أن يصيبها أي ضرر.

أما ريد فقد كان مسألة أخرى. فقد لاحظت بيني، وهي تراه يقف على قدميه أن ثمة شيئاً خطأ. ولكنه استطاع أن يبتسم بشفتين مرتجفتين وهو يخاطبها قائلاً: «لا تنظري إليّ بهذا الشكل المريع، فأنا بخير. ليس هناك سوى شيء من الاهتزاز...»

وجاءت سوزي تقول: «هل أنت متأكد؟ ما كنت لأتحمل أيّ ضرر يصيبك بسبب غبائي، إنني آسفة جداً.»

فبقيت ذراعه اليسرى ممدودة إلى جانبه بينما مد يده اليمنى يشعث شعر الصغيرة، وهو يقول: «لا تلومي نفسك.

ها قد وصلت أمك ومعها شخص أظنك ستكونين مسرورة لرؤيته.»

وصعدت غصة إلى حلق بيني وهي ترى جو وأندرو متعانقين. وأطلقت سوزي صرخة ابتهاج وهي تندفع نحوهما، وكانا يتحدثان إلى سائق الشاحنة الذي كان قد ترجل من سيارته ليتأكد من أنهم جميعاً بخير، ووقف جانباً وسوزي تلقي بنفسها بين ذراعي أبيها. بينما سالت دموع بيني على وجنتيها.

وانهالا بالشكر على ريد الذي هز رأسه رافضاً شكرهما هذا، مستحثاً إياهما على العودة إلى بيتهما مع ابنتهما للاحتفال بجمع الشمل. كما عاد سائق الشاحنة إلى سيارته شاعراً بالارتياح لعدم حصول أيّ مشكلة، فقد كان عليه أن يكون أكثر حذراً أثناء اقترابه من نقطة عبور المشاة، ولكن لا فائدة الآن من إلقاء محاضرة عليه بهذا الأمر.

وأخيراً، نالت بيني مبتغاها بالانفراد بريد. وعاد إليها الألم من جديد وهي تذكر اصطدامه بالشجرة، وسألته: «هل أصابك ضرر؟»

فأجاب: «لم أشأ إخافة سوزي. ولكن كتفي اليسرى علقت بالشاحنة. إن الألم شديد ولكنني لا أظن ثمة كسور.»

ورفع يده اليمنى يمرّ بها على عينيه.

فقالت بلهجة متوترة: «على كل حال، عليك أن تعرضها على طبيب.»

ففتح عينيه لترى فيهما الهزل ممزوجاً بالألم، وهو يقول: «لا تخبريني أن ما أسمعه في صوتك هو اهتمام بأمري إلى هذا الحدّ.»

فقالت بصوت باك: «وماذا كنت تتوقع؟ أن لا أهتم بما يحدث لك؟»

فقال: «أحقاً؟»

وخافت أن تنظر إليه فيقرأ الجواب في عينيها. لقد شعرت في هذه اللحظة بمدى شفافيتها، واستعانت بكل إرادتها لكي تقول متصنعة المرح: «هذا شعور طبيعي مني نحو كل شخص يصيبه ضرر.»

فشدّها من كتفها بيده اليمنى بعنف، وهو يسألها: «هذا فقط؟»

فقالت: «وماذا يمكن أن يكون غير هذا؟»

فقال: «إنني أنتظر أن أسمع الجواب منك.»

فهزت رأسها. كانت صورة الشاحنة ما زالت حية في ذهنها، وقريبة جداً من حلمها ذاك عن حادث الاصطدام. وقد تستحيل الأحلام إلى كوابيس كما يشهد بذلك زواج والديها.

وقالت: «لا أستطيع.»

فبدا عليه فجأة الانهاك، فقال: «دعينا إذن، نترك هذا المكان. إن عليك أنت أن تقودي السيارة. لا أظن أن بإمكاني ذلك.»

وحاولت أن تمدّ له يدها ليستند إليها، ولكنه نفضها جانباً. ومع أنه كان يبدو واقفاً على قدميه بكل ثبات، إلا أنها لاحظت أنه لا يكاد يستعمل ذراعه اليسرى. ماذا لو كان الضرر أكبر مما كان يظن مما قد يؤثر على عزفه؟ إنها لا تستطيع تصوّر العالم من دون موسيقاه. من دونه هو. وصدرت عنها آهة سرعان ما كتمتها.

وناولها مفاتيح السيارة، ففتحت البابين، ثم أمسكت بباب

مقعد الركاب لكي يصعد إليه. وأوثق هو حزام الأمان بيد واحدة، وقد بان العبوس على ملامحه. وتلاحقت أنفاسه وهو يشدّ الحزام على كتفه المصابة. وكان وجهه شديد الشحوب.

كانت تشعر بالألم في جسدها وأعضائها وكأنها هي التي ألقت بها الشاحنة أرضاً. هل هذا سيكون شأنها دوماً؟ فتشاركه الآلام، أينما كان دون أن تشاركه أيّ شيء آخر في حياته؟

وصدرت عنها شتيمة على غير عادتها، بعد أن جلست في مقعد القيادة من تلك المرسيدس. وهي تقول: «لا أستطيع قيادة هذه السيارة.»

فسألها: «ولماذا؟ هل ما زلت تشعرين بالصدمة؟»

فحوّلت إليه عينين طافحتين بالدمع، وقد تجلى فيهما القنوط وهي تقول: «إنني لا أعرف كيف أقود سيارتك. إنني لم أتعلم قط قيادة سيارة بمحركات يدوية. إن إجازة السير عندي هي لقيادة سيارات الأوتوماتيك فقط.»

فقال بعنف: «ماذا تقولين؟»

فشعرت بالعجز وهي تكرر قولها: «لا أستطيع قيادة سيارتك. إنني آسفة، ولكن علينا أن نستقل سيارة أجرة.»

فأمسك بيدها الملقاة على عجلة القيادة. ولدهشتها سمعته يقول: «يا عزيزتي بيني، لم يسعدني شيء في حياتي مثل هذا الأمر.»

هل كان سعيداً لأنها لم تستطع قيادة سيارته؟ لا بد أن الألم جعله يهذي. ولكن عينيه كانتا صافيتين وصوته عادياً وهو يريها كيف تستعمل الهاتف لاستدعاء سيارة أجرة.

وكان جوّ الإثارة ما زال مسيطراً عليهما بعد أن أنزلتهما السيارة أمام كانغالوما مرة أخرى إزاء إصراره.

وسألته بقلق: «أما كان ينبغي لنا أن نذهب مباشرة إلى المستشفى؟»

فأجاب بإصرار: «إن المستشفى يمكنه أن ينتظر فإن لديّ اموراً أكثر أهمية.» هذا رغم أن اكفهرار وجهه كان يعلن عن مبلغ معاناته من إصابته. ما هو ذلك الأمر المستعجل الذي كان يدفعه إلى إطالة آلامه؟

وصنعت له كوباً من عصير الليمون بدا وكأنه أراحه نوعاً ما.

ألا يستطيع أن يرى ما يفعله تصرفه هذا بها؟ وسألته أخيراً: «والآن، هل لك أن تخبرني عن السبب في عودتنا إلى هنا؟»

فأجاب: «لم تفهمي، أليس كذلك؟ لقد كنت طوال الوقت، خائفة من أن أعيّرك بحادث الاصطدام ذاك في المستقبل. حسناً، ثقي بأن ذلك لن يحدث مطلقاً.»

فقالت: «إنه لن يحدث طبعاً.» وكانت تعني بكلامها هذا أنه لن يكون لهما مستقبل معاً.

وتابع هو وكأنها لم تقاطعه قائلاً: «لا شيء يمكن أن يدخل بيننا بعد الآن، وإلى الأبد، كما ترين إذ لا يمكنك أن تكوني أنت سائقة السيارة تلك الليلة.»

وشعرت بحلقها يجفّ حتى لم تستطع النطق إلا بجهد، وهي تسأله قائلة: «ما الذي تتحدث عنه؟»

فأجفل وهو يحرك كتفه المصابة، ثم أجاب قائلاً: «إن السيارة التي كنتما، أنت وتونيا تقودانها كانت حركاتها يدوية. هل فهمت الآن؟»

وشعرت بضيق في صدرها لم تعد معه تستطيع التنفس وهي تقول: «آه، يا ريد. إذن فمعنى هذا...»

فقاطعها قائلاً: «كانت تونيا تقود سياراتي دوماً وهي كلها يدوية الحركات. وهكذا، لا بد أنها نقلتك إلى مقعد القيادة بعد وقوع الحادث، بينما كنت أنت غائبة عن الوعي.»

فضغطت بيني بأصابعها على صدغيها وهي تقول: «ها إنني أتذكر قليلاً، الآن، إنني لم أشأ أن تقود السيارة أيّ منا. وانتظرت في مقعد الركاب. ولكنها دخلت السيارة وابتدأت في إشعال المحرك. ولم أستطع أنا منعها كما لم أستطع الخروج. لقد قالت إن بإمكانها القيادة تماماً.»

فمسح جبينها بيده وهو يقول: «هذا يكفي. لقد استغفلتنا تونيا جميعاً. لقد ظننتها مغمى عليها حقاً عندما عثرت عليها. إنني أعرف الآن كم هي ممثلة قديرة. ولكن هذا يفسّر شعورك القويّ ذاك وهو أنك لم تكوني تقودين السيارة تلك الليلة. لم يكن عقلك الواعي يتذكر ذلك، ولكن عقلك الباطن كان يعرف الحقيقة.»

وأدركت بيني، وهي تكاد تجن، سبب قيام تونيا بهذا العمل. لقد كانت تلك المرأة تحب ريد. ولم تشأ أن تخسر مودته، وهكذا جعلت بيني تتحمّل عنف غضبه. ومن سخرية القدر، أنها عادت فخسرت الشيء الوحيد الذي غامرت بكل شيء، لكي تحتفظ به.

وسألها قائلاً: «هل تسامحيني على لي ارتيابي بك؟»

فقالت وقد هزّها مظهره الذليل من الأعماق: «إن المسامحة تشير إلى شيء هو غير موجود. ذلك أنه يقال إن

www.rewity.com gege86

الحب هو أن لا تجد نفسك بحاجة إلى أن تقول إنك آسف.»

فصدرت عنه آهة ممزقة وهو يقول: «إنني في هذه الحالة، قد لا أعتذر إليك عن أيّ شيء ما دمت حياً.»

وكادت شجاعتها تخونها، وارتخت مفاصلها وهي تستوعب المعنى الذي انطوت عليه كلماته. ماذا لو أنه لم يكن يعني ذلك حقاً؟ ولم تستطع المغامرة بأي سوء فهم بعد الآن. ومع هذا، فقد تطلبت الكلمات التي قالتها، جهداً بالغاً وهي تجيبه: «وأنا لن أتوقع منك أيّ اعتذار، لأنني أحبك.»

فمدّ ذراعه يحتضنها بيده السليمة وهو يهمس متمتماً: «كنت أظن أنني لن أسمع منك هذه الكلمة قط.»

فقالت: «وأنا أيضاً لم أكن أظن ذلك منك، لقد كنت أظن أنك لم تشأ أن تراني مرة أخرى بعد ذلك الحادث. فقد أفصح منظر وجهك في تلك الليلة عن مشاعرك بكل وضوح.»

فقال: «لم يكن ذلك واضحاً تماماً كما يظهر. فقد كان اشمئزازي هو من نفسي لسماحي لك بالعودة وحدك إلى الفندق. لقد ظللت أحدّث نفسي بأنني لو كنت معك في ذلك الحين، لكنت جنبتك تلك المحنة. إنني إنما كنت أوبّخ نفسي وليس أنت. ولكنك تركت البلاد قبل أن أجعلك تعرفين ذلك.»

فنظرت إليه بعينين تسيلان رقة... وعتاباً وهي تقول: «عندما كنا معاً مرة، أجفلت لقربي منك. وكذلك الفيلم الذي أريتني إياه عن الحادث الذي جرى لوالديك كان إدانة أخرى لي.»

فتصلّب جسده وضاقت عيناه وهو يتذكر، ثم ما لبث أن

فتحهما ناظراً إليها بلطف، قائلاً: «لقد ابتعدت عنك لانك كنت تذكريني دوماً بخسارتي لك. أما بالنسبة للفيلم، فقد أتلفته الآن بعد أن أدركت مقدار الألم الذي سببه لك.»

وامتلأ قلبها بهجة عندما أدركت أنه ابتدأ يهتم بمشاعرها حتى قبل أن يعلم حقيقة الحادث. وسألته بخجل: «متى أدركت أنك تحبني وقد كان بيننا الكثير من المتضادات؟»

فأخذ يلامس وجنتها وهو يقول برقة: «ليس الكثير كما تظنين. عندما رأيتك في كانغالوما، أخذت أقنع نفسي بأنني إنما أريد المنزل فقط. ولكن عندما تطورت الأمور بيننا، أدركت أنني إنما كنت أخدع نفسي، وأنني انما أحب صاحبة البيت الجميلة. وكان إصلاح المنزل هو الطريقة الوحيدة التي انبثق عنها ذهني للوصول إليك.» وابتسم متكاسلاً وهو يسألها: «وقد نجحت تلك الطريقة، أليس كذلك؟»

فقالت: «نعم، فأنت لم تسمح لي ببديل آخر، ولكنني كنت كلما فكرت في أن يجمعنا المستقبل معاً، كان يتملكني الرعب من أن يتدخل الماضي بيننا، كما حدث بالنسبة لأبويّ.»

فقال بثقة جعلت قلبها يثب من موضعه: «لا يمكن لشيء أن يتدخل بيننا. لقد سبق وكنت مقتنعاً بذلك تماماً عندما اشتريت لك ذينك القرطين.»

فسألته: «وهل اشتريتهما لأجلي؟»

فأجاب: «وهل كان لديك شك في ذلك؟»

فقالت وهي تشعر بالخجل من نفسها لسماحها لمثل هذه

الشكوك أن تنتابها: «لقد أخبرتني تونيا بأنك كنت اشتريت القرطين هدية لها في ذكرى مولدها.»

فقال عابساً وقد غامت عيناه: «إن أمام تونيا أشياء كثيرة عليها أن تجيب عنها، بعد أن ينتهي محامو الشركة من التحقيق معها...»

فوضعت يدها على ذراعه قائلة: «أرجوك. دع كل شيء على ما هو عليه. لا أستطيع احتمال عودة الماضي مرة أخرى. يكفيني تماماً أنك الآن تعلم الحقيقة.»

قال: «إنك أكثر صفحاً ومغفرة مني، ولكنني سأفعل كل ما يسعدك.»

فقالت باهتمام: «إن ما يسعدني حقاً، هو أن تعرض كتفك هذه على طبيب.» لا بد أنه في كرب شديد من ألم كتفه، ولكنه لا يعترف بذلك.

فقال: «هل تلك هي الطريقة الوحيدة التي أسعدك بها؟»

فقالت: «إنك تعلم أن هذا غير صحيح. ولكن ثمة وقتاً لذلك فيما بعد، بعد أن أطمئن إلى أنك بخير.»

فصدرت عنه آهة مبالغ فيها وهو يقول: «إنك امرأة صلبة، يا بيني سوليفان، وقد جعلتني رجلاً صلباً أنا أيضاً. ولكنني أرى أنني لن أستفيد شيئاً قبل أن ننتهي من مشكلة كتفي هذه.»

فسألته بخجل: «أتظن أن ذلك يأخذ وقتاً طويلاً؟»

فرفع يدها يطبع قبلة عليها وهو يقول: «سأقوم بالمستحيل لكي لا يحصل ذلك. ويبدو أنها مخلوعة، وهكذا ما أن تعاد إلى مكانها، حتى أعود وكأن لم يحدث لي شيء.»

وقال وهو يمسك يدها التي امتدت إلى الهاتف لتستدعي سيارة أجرة: «ثمة شيء آخر. شيء أريد أن أعطيك إياه.»

ولكنه، بمنحها حبه، قد منحها أعظم شيء في العالم، فقالت له: «لا أريد منك شيئاً بعد حبك.»

فقال: «وماذا بالنسبة إلى كانغالوما؟»

فقالت: «هذا لا يهم. إن بيتي هو المكان الذي أكون فيه معك.» وكانت تعني هذا فعلاً، من كل قلبها. إذ مهما عظم حبها لذلك البيت القديم فهو لم يعد يعني لها شيئاً إذا لم يشاركها هو فيه.

وهذا ما كان يفكر فيه. وقال: «لقد اتصلت هاتفياً هذا الصباح بمحامي أندرو وعرضت عليه نقوداً لتسديد حصة جو من المنزل، وهكذا ستستفيد أسرتها من المبلغ فوراً، بينما يبقى المنزل للأسرة. أسرتنا.»

وأمسكت أنفاسها فجأة وقد تراءت لها صورة أطفال يتراكضون في أنحاء المنزل. وأسرتهم الصغيرة تملأ الغرف في الطابق الأعلى. وقالت دون وعي: «يوجد هنا العديد من الغرف.»

فقال: «أظن بإمكاننا أن ننجب ولداً لكل غرفة.»

فقالت: «لا بد أن التجربة ستبعث السرور.»

تنهد قائلاً: «من الأفضل أن نسارع لرؤية الطبيب.»

فقالت: «وأنا أيضاً عليَّ أن أتذكر إسداء الشكر لسوزي لجمعها لنا معاً. تصور أنه كان يمكن لولاها أن لا نجتمع قط مرة أخرى، كما كان يمكن بعد ذلك أن لا تعرف أنت حقيقة ذلك الحادث أبداً. أعني لو أنها لم تكتب إليك تلك الرسالة...»

وكان هو يتأمل ذلك، وما لبث أن شعر بالبرودة تسري

في جسده، برغم الألم الحارق الذي في كتفه، فقال: «ولكنها كتبتها. حتى انها جعلتني ألمح الأمر من وراء تلك الحاشية التي كتبتها عن معزوفة أندريتي.»

وتمنى أن يأخذها بين ذراعيه لولا أن ذراعاً واحدة لم تكن فعّالة. هل كتب على ذراعه أن تصاب في مثل هذا الوقت؟ ولكن هناك سوزي، وهي تستحق كل الألم الذي يشعر به بسببها بعد ذلك الجميل الذي أسدته إليهما...

ثم هذه المرأة التي هي إلى جانبه الآن، إنها فعلاً كانت تستحق انتظاره الطويل لها. وهو سيمنحها دوماً الحب العميق الذي تستحقه.

عزيزي الغالي ريد.

الوقت متأخر جداً الآن، والمستشفى غارق في الهدوء، وطفلك البالغ من العمر يوماً واحداً نائم بجانبي بكل اطمئنان. وهكذا أكتب إليك الآن لأخبرك عن مشاعري نحو بعض الأشياء.

أولاً، إن حبي لزوجي الموهوب ما زال هو نفسه ذلك الحب العظيم الذي كان يوم زواجنا. لقد كنت مسرورة لوجودك قربي حين ولادة طفلنا فرانسيس، وأنا آسفة جداً لعدم وجودي معك وأنت تتسلم جائزة الأوسكار كأحسن مؤلف موسيقي، وخاصة لمعزوفتك أندريتي. عندما ألفتها لأجلي في سيدني، أدركت أنا أنها شيء غير عاديّ ولم أحلم قط بأنها ستكون ملهمة لموضوع فيلم. ولكنني لن أمانع في أن يشاركني العالم فيها بعد الآن، على أنني في أعماقي، سأعتبرها دوماً موسيقانا الخاصة بنا، أنا وأنت.

لكم سرّني أن دعوت طفلنا فرانسيس باسم والدك. لقد

زارتني سوزي بعد رحيلك وأقسمت بأن شفتي ابنك الممتلئتين هما بالضبط، شفتا نافخ الكلارينيت. وعندما يكبر سأحدثه عن رسالتها تلك التي عادت فجمعتنا معاً.

حتى ولو عدت مباشرة من لوس أنجلس، فهذا يعني يوماً آخر سيمضي قبل اجتماعنا. وأنا لا أستطيع الانتظار، فأنا في غاية الشوق إليك، وكذلك أسرتنا جميعاً، إيما وجيسي والتوأمان المخيفان براد وجوش والصغير جوليان. لقد كنت دوماً تقول إننا سنملأ غرف كانغالوما بأولادنا، وها قد فعلنا. تماماً كما ملأت الفراغات في فؤادي. تعال إلينا بالسلامة يا حبيبي الغالي.

زوجتك لثماني سنوات سعيدة.

بيني.

حاشية: أحبك.

تمت

www.tewily.com gege86

تضييعاً لما أتذكره من موهبتك البالغة في هذا المجال؟»

وشعرت بوجهها يتوهج احمراراً، وتشاغلت بتحريك سكر لم تضعه في كوب قهوتها التي لم تكن تنوي أن تشربها. فهي ما كانت لتملك تلك الموهبة لولا تعهده لها وتعليمه.

قالت وكأنها تدافع عن نفسها: «يبدو أنك واثق من تضييعي لموهبتي تلك كما تسميها لانشغالي بالعمل. ربما لأنني لم أشهر ذلك في الصحف كما فعلت أنت.»

فارتسمت في عينيه عاصفة أظلم معها وجهه، ثم قال: «إذن، فهناك رجال آخرون في حياتك، أم هو رجل واحد؟»

فأجفلت في داخلها لما يتضمنه سؤاله هذا من إثبات لقصص الصحف عنه. ذلك أن سرعة تصديقه لكذبتها هذه أخبرتها أنه كانت له فعلاً علاقات مع نساء. حسناً، وما الذي تنتظره؟ فقد كان غنياً ومشهوراً وذا جاذبية مدمرة. ولكنها فقط لم تكن تتوقع أن يؤلمها اكتشاف ذلك إلى هذا الحد.

وقالت له وقد أذهلتها حالة أعصابها شبه المنهارة: «لا أظن ذلك من شأنك.» وتساءلت كيف سيصبح حالها إذا هي عملت معه ما دامت مواجهة مختصرة مثل هذه، قد أدت بها إلى مثل هذا التوتر؟

ودهشت إذ أومأ برأسه قائلاً: «معك حق. فهذا ليس من شأني. ومع هذا فأنا أكره أن أراك تكافحين في الوقت الذي يمكنني فيه مساعدتك.»

إذن، فهذه الوظيفة ليست إلا إحساناً منه إليها. فهو يشعر بالأسى لأجلها، وشعرت بالمرارة وهي تجيبه قائلة: «أظن من الأفضل أن تذهب الآن. وإذا شئت أن تساعد سوزي

في موسيقاها فإن لمدرستها برنامجاً عليك أن تتبعه. وهذا لن يأخذ من وقتك الكثير.»

فقال بدهاء: «إما أن تسمحي لي بالعودة إلى عتبة بابك، وإلا فإنك لسوء الحظ تدفعينني إلى أن أرفض التماس سوزي.»

فنظرت إليه ذاهلة، ثم قالت: «ولماذا؟ هل لأنني لا أريد العمل معك؟ أم لأنني خيبت أملك منذ خمس سنوات، وهذه هي فرصتك للإنتقام؟»

فاكفهر وجهه حتى أصبحت ملامحه بقسوة الحجر. وأدركت السبب في كونه قوة يحسب حسابها في عالم الأعمال. ذلك أن باستطاعته، إذا شاء أن يكون وكأنه قدّ من الصوان وقال: «ليس للانتقام أي شأن بهذا. لقد تفحصت برنامج المدرسة بشأن المشيرين قبل أن أحضر إلى هنا. وهو منهاج سطحي يراد به الشهرة من وراء بعض المشهورين، ولكنه لا يمنح التلميذ أي معرفة عميقة.»

فقالت: «إن المدارس لا تطلب من المرشدين معرفة عميقة لتلاميذها، وإلا فلن يساعدها أحد من كثيري الأعمال. فالبرنامج يمنح التلميذ التشجيع ومثالاً يحتذي به ليس إلا. إنهم لا يتوقعون إنتاج الروائع.»

فقال: «تعلمين ما يقال من أن الروائع تستغرق وقتاً أطول. فإذا كان الأمر يستلزم ارتباطاً أقوى بالتلميذ، فإنني مستعد لأن أبذل الوقت والطاقة، ولكن ليس أقل من ذلك، فإن عرضي الذي أقدمه هو كل شيء، أو لا شيء يا بيني. فما الذي تفضلين أن يكون؟»

فقالت: «ألا ينبغي لك أن تبحث هذا الأمر مع والدي